الدعوة إلى الله

فضلها

أسباب قوتها ونجاحها

عوامل هدمها وفشلها

تأليف

أبي البراء هاني بن محمد بن حمود بن أحمد الشاحذي

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي الحجوري

- حفظه الله -

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

سليم بن عيد الهلالي

- حفظه الله -

الدعوة إلى الله

فضلها

أسباب قوتها ونجاحها

عوامل هدمها وفشلها

اليمن – صنعاء

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله.

أما بعد:

فهذه رسالة طيبة في موضوعها الدعوة إلى الله عز وجل، ذكر فيها خمسة وعشرين فصلًا بأدلتها بعد مقدمة طيبة في فضل الدعوة إلى الله.

جزى الله أخانا الداعي إلى الله الفاضل: هاني بن محمد الشاحذي خير الجزاء على هذا الجمع الطيب، ونفع به.

كتبه:

يحيى بن علي الحجوري

(٦) شعبان (١٤٤٦هـ)

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري (مخطوط)

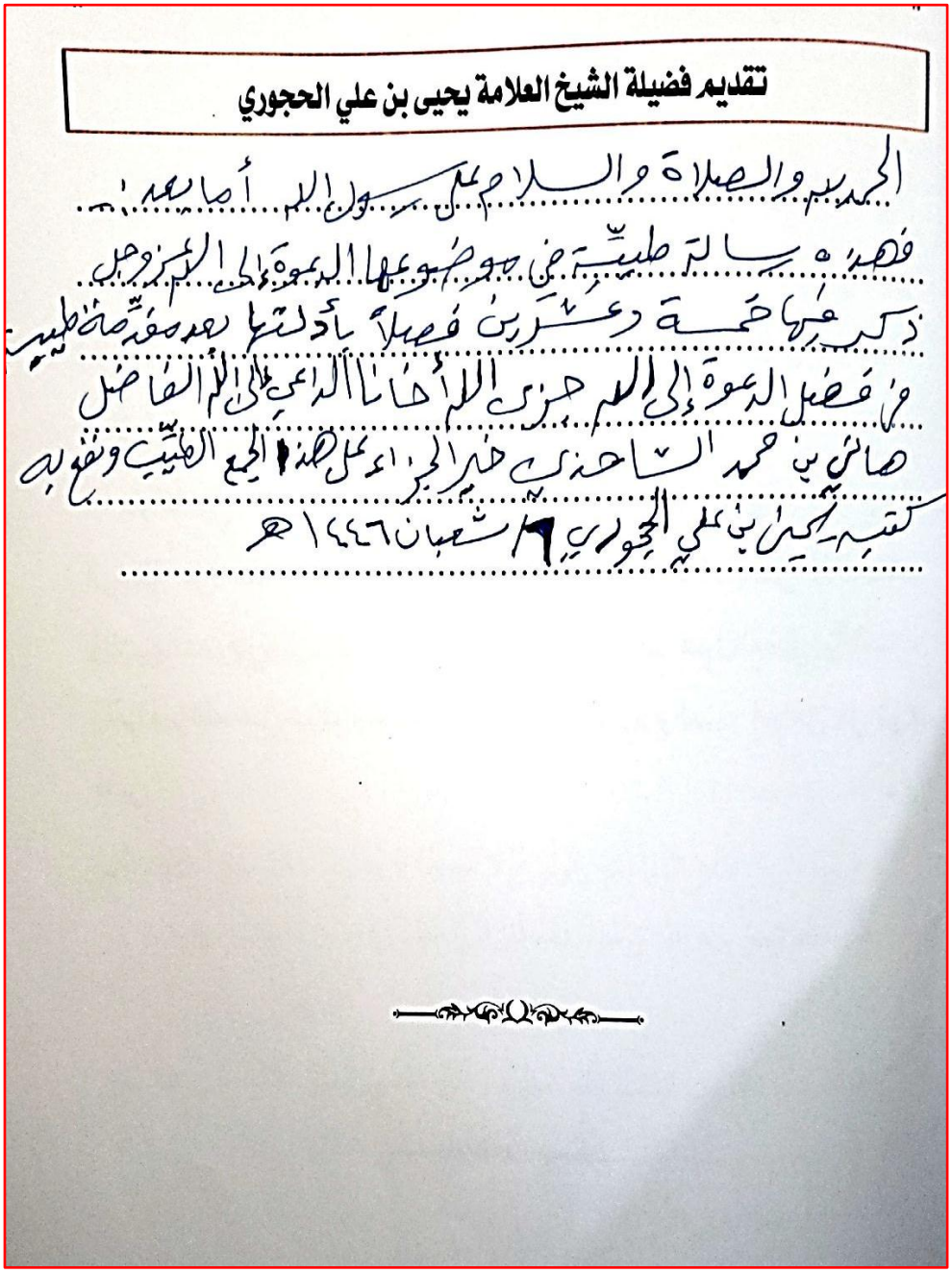

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأصحابه...

فهذه رسالة طيبة جمع موضوعها الدعوة إلى الله عز وجل

ذكر فيها خمسة وعشرين فصلاً بدأ كل فصل بعدة صفات طيبة

من فضل الدعوة إلى الله جزى الله أخانا الداعي إلى الله الفاضل

هائل بن محمد الساحلي خير الجزاء وعمل هذا الجمع الطيب ونفع به

كتبه يحيى بن علي الحجوري ١٩ شعبان ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة سليم بن عيد الهلالي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، واتبع هداه.

أما بعد:

فقد تصفحت كتاب (الدعوة إلى الله: فضلها وأسباب قوتها ونجاحها)، للأخ الفاضل هاني الشاحذي وفقه الله، وجدته كتابًا مفيدًا في بابه.

جزى الله أخانا خيرًا على هذا الجهد المبارك، والجمع الطيب، ونفع به بلده والمسلمين، آمين.

كتبه:

سليم بن عيد الهلالي

(١١) شعبان (١٤٤٦هـ)

عمان – الأردن

تقديم فضيلة الشيخ العلامة سليم بن عيد الهلالي (مخطوط)

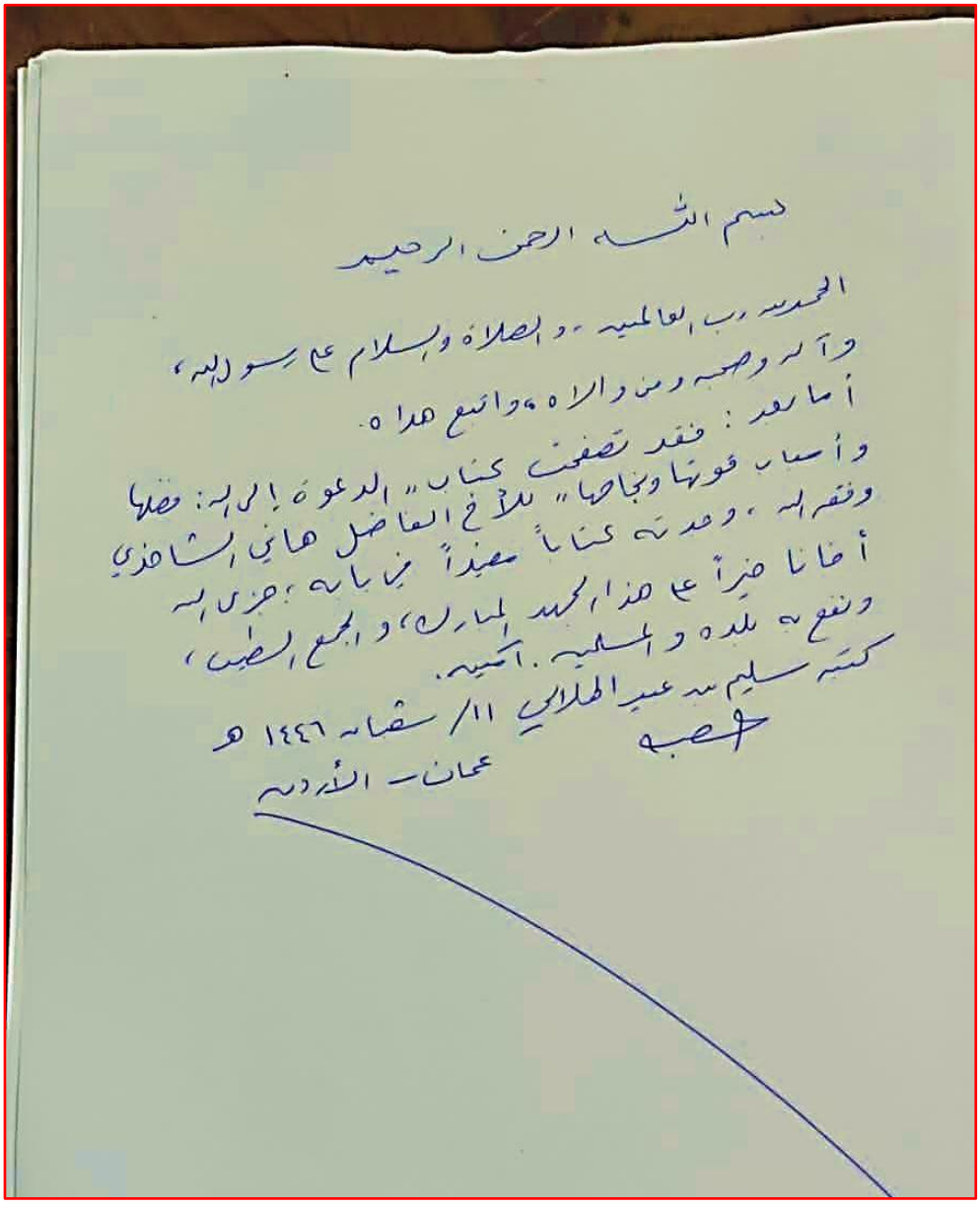

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وتبع هداه.

أما بعد: فقد تصفحت كتاب "الدعوة إلى الله: فضلها وأسباب قوتها ونجاحها" للأخ الفاضل هاني الشافعي وفقه الله، وهذه كتاباً مفيداً في بابه، جزى الله أخانا خيراً على هذا الجهد المبارك، ونفع به بلده والمسلمين. آمين.

كتبه سليم بن عيد الهلالي ١١/ شعبان ١٤٤٦ هـ

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

وانطلاقًا مما أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم: (٤٨١١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»، وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٣٣٠).

فلزامًا علي أن أُزجي الشكر لكل من ساهم من أهل العلم في إخراج هذه الرسالة على هذا النحو بإبداء نصح أو مشورة أو إبداء بعض الملاحظات والتنبيهات، فإني وإن لم أذكر أسماءهم، فإني معترف لهم بالفضل والامتنان، وجزاهم الله عنا خيرًا، وأماتنا وإياهم على الإسلام والسنة، إنه على كل شيء قدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلى اللهُ عَليهِ وَعَلى آلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّها النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْد:

فَإِنَّ أَصْدقَ الحَديثِ كِتَابُ الله تَعالى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلى اللهُ عَليهِ وَعَلى آلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُور مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فإن الدعوة إلى الله عز وجل من أعظم الصالحات وأزكى الطاعات بها تنهض الأمم وتزكو المجتمعات، وتتطلع لأسمى معاني العِز، وبها عمارة الديار وصلاحها.

قال ابن القيم كما في "إعلام الموقعين": (٢/ ٢٥٧): فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلدٍ أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفى العلم هناك ظهر الشر والفساد.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ولو لم يكن من شرف الدعوة إلى الله إلا أنها وظيفة الأنبياء والرسل لكفى بها فضلًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "جلاء الأفهام": (٢٤٩): فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا..). اهـ

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "فتاوى نور على الدرب"، ص(١/ ٦٠):

فالدعوة إلى الله من أهم الأمور وهي فرض على المسلمين فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقي، فإن تركها العلماء والدعاة أثموا جميعًا، فالواجب

على أهل كل بلد وكل قرية من أهل العلم أن ينشروا العلم وأن يبينوا للناس ما أوجب الله عليهم من الدعوة ومن الإخلاص لله، وتوحيد العبادة وعدم صرفها لغير الله كائنا من كان، وتحريم الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، وهكذا بقية الأوامر والنواهي، يوضحوا للناس وجوب الصلاة وأدائها في الجماعة، وجوب الزكاة ووجوب صوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة، بر الوالدين صلة الرحم، صدق الحديث، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير هذا مما أوجب الله، كما أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس ما حرم الله عليهم من الشرك وترك الصلاة، أو التساهل بها أو العقوق للوالدين أو أحدهما، أو قطيعة الرحم أو أكل الربا أو الغيبة والنميمة، أو قتل النفوس بغير الحق أو شهادة الزور، أو غير هذا مما حرم الله، هذا واجب العلماء والله سائلهم سبحانه وتعالى، عما كتموا وعما لديهم من العلم، وهذا أوان نشر العلم، هذا وقت الغربة الآن، وقبل هذا العام بأزمان كثيرة، فالغربة للإسلام عظيمة ومنتشرة والعلماء قليل، العلماء بالله ودينه، أهل البصائر قليلون، الواجب عليهم مع قلتهم أن ينشروا العلم، وأن يتقوا الله في جميع الدول، في الدول الإسلامية وفي الأقليات الإسلامية، وفي كل مكان يجب عليهم أن ينشروا العلم، وأن يعلموا الناس من طريق وسائل الإعلام، فقد يسر الله للناس اليوم وسائل الإعلام، طريق الإذاعة والصحافة والتلفاز، والخطابة ومن سائر الأمور الممكنة. اهـ

وقال الإمام الوادعي كما في "رحلات دعوية"، ص(١٢٠): الدعوة إلى الله أرفع من الكراسي، وأرفع من المناصب، وأرفع من حطام الدنيا. اهـ

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات، ومن أشرف الوظائف والمكرمات، وأجل المقامات.

رأيت أن أضع كتابًا واضح المعالم يحوي على إرشادات ووصايا في طريق الدعوة خاصًا بأعمال الدعاة إلى الله عز وجل.

به يستنير الداعي إلى الله سبحانه.

أرجو من الله جل ثناؤه أن يكون هذا الجهد لَبِنةً في بناء الدعوة، ورفع صرحها عالية خفاقة ونبراسًا يضيء الطريق ويسهِّل المسير للسالكين.

وما كتبته في هذا المبحث عبارة عن عصارة تجربة، وخلاصة رحلات دعوية متعددِّة، منها تمخض لي ما خطَّه اليراع وقيَّده الخاطر راجيًا من ربنا سبحانه وتعالى أن يكون نافعًا لعباده الدعاة المصلحين، وشاهدًا لي يوم الدين، وقد أسميته بعنوان: (**الدعوة إلى الله فضلها، أسباب قوتها ونجاحها، عوامل هدمها وفشلها**).

كتبه:

أبو البراء

هاني بن محمد بن حمود بن أحمد الشاحذي

(٥) جمادى أولى: (١٤٤٦هـ)

الفصل الأول: الدعوة إلى الله وفضلها

الدعوة في اللغة، كما في "مختار الصحاح"، ص(٢٠٥): مشتقة في أصله من مادة (دعا)، وتأتي في اللغة بعدة معانٍ منها ما يلي:

الدعوة إلى الطعام، يقال: الدعوة إلى الطعام، بالفتح، ويقال: كنا في دعوة فلان، ومدعاة فلان، وهو مصدر، (والدِّعوة) بالكسر في النسب، (والدعوى) أيضًا هذا أكثر لكلام العرب.

وتأتي الدعوة كما في "المعجم الوسيط" مادة (دعا): (١/ ٢٨٦): بمعنى الطلب والحث، يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، حثه على قصده دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده، وساقه إليه.

وتعريفها اصطلاحًا، قال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى": (١٥/ ١٥٧-١٥٨): هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه. اهـ

فالدعوة إلى الله من أفضل القربات، وأجل العبادات، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٦٧].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وأخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم: (٢٦٧٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مفتاح دار السعادة" عند شرح هذا الحديث: عند الوجه الخامس والأربعين من فضائل العلم:

قال: أخبرَ ﷺ أنَّ المتسبِّبَ إلى الهدى بدعوته له مثلُ أجر من اهتدى به، والمتسبِّبَ إلى الضلالة بدعوته عليه مثلُ إثم من ضلَّ به؛ لأنَّ هذا بذلَ قدرتَه في هداية الناس، وهذا بذلَ قدرتَه في ضلالهم، فنُزِّل كلُّ واحدٍ منهما بمنزلة الفاعل التَّام.

وهذه قاعدةُ الشريعة، كما هو مذكورٌ في غير هذا الموضع؛ قال تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ [النحل:٢٥].

وقال: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾ [العنكبوت:١٣].

وهذا يدل على أن من دعا الأمة إلى غير سنة رسول الله ﷺ فهو عدوه حقًا؛ لأنه قطع وصول أجر من اهتدى بسنته إليه. اهـ

وأخرج الإمام البخاري برقم (٣٠٠٩)، ومسلم برقم: (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب يوم خيبر: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرح هذا الحديث: وفي هذا الحديث بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى، وسن السنن الحسنة. اهـ

وأخرج الإمام البخاري برقم (٣٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو، قال، قال النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

قال الحافظ في "فتح الباري" عند شرح هذا الحديث: (ولو آية)، أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مفتاح دارا لسعادة" عند الوجه الرابع والخمسين من فضائل العلم، قال: فأمرَ ﷺ بالتبليغ عنه؛ لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ، وله ﷺ أجرُ من بَلَّغَ عنه وأجرُ من قَبِلَ ذلك البلاغ، وكلما كَثُرَ التبليغُ عنه تضاعفَ له الثواب، فله من الأجر بعدد كلِّ مبلِّغٍ وكلَ مُهْتَدٍ بذلك البلاغ، سوى ما له من أجر عمله المختصِّ به، فكلُّ من هُدِيَ واهتدى بتبليغه فله أجرُه؛ لأنه هو الداعي إليه.

ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصولُ ما يحبُّه ﷺ لكفى به فضلًا، وعلامةُ المحبِّ الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، ويبذلَ جهدَه وطاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمَّة، فالمبلِّغُ عنه ساعٍ في حصول محابِّه، فهو أقربُ الناس منه وأحبُّهم إليه، وهو نائبُه وخليفتُه في أمَّته، وكفى بهذا فضلًا وشرفًا للعلم وأهله. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جلاء الأفهام: (٤١٥): وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم. اهـ

وأخرج الإمام البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢)، عن أبي موسى قال: قال ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ**

مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **"مفتاح دار السعادة"** عند الوجه الثاني والأربعين في فضل العلم: شبَّهَ ﷺ العلمَ والهدى الذي جاء به بالغيث؛ لِمَا يحصلُ بكلِّ واحدٍ منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد، فإنها بالعلم والمطر.

وشبَّه القلوبَ بالأراضي التي تقعُ عليها المطر؛ لأنها المحلُّ الذي يمسكُ الماء، فينبتُ سائر أنواع النبات النافع، كما أنَّ القلوبَ تعي العلمَ فيثمرُ فيها ويزكو، وتظهرُ بركتُه وثمرتُه.

ثمَّ قسَّم الناس إلى ثلاثة أقسام، بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه، وفهم معانيه، واستنباط أحكامه، واستخراج حِكَمه وفوائده:

أحدها: أهلُ الحفظ والفهم، الذين حَفِظُوه وعَقَلوه، وفهموا معانيه، واستنبطوا وجوهَ الأحكام والحِكَم والفوائد منه؛ فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قَبِلَت الماء، وهذا بمنزلة الحفظ. فأنبتت الكلأ والعشبَ الكثير، وهذا هو الفهمُ فيه والمعرفةُ والاستنباط؛ فإنه بمنزلة إنبات الكلأ والعشب بالماء.

فهذا مثَلُ الحفَّاظ الفقهاء، أهل الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهلُ الحفظ، الذين رُزِقوا حفظَه ونقلَه وضبطَه، ولم يُرزقوا تفقُّهًا في معانيه، ولا استنباطًا ولا استخراجًا لوجوه الحِكَم والفوائد منه؛ فهم بمنزلة من يقرأ القرآنَ ويحفظُه، ويراعي حروفَه وإعرابَه، ولم يُرْزَق فيه فهمًا خاصًّا عن الله، كما قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (إلا فهمًا يؤتيه اللهُ عبدًا في كتابه).

والناسُ متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظمَ تفاوت، فرُبَّ شخصٍ يفهمُ من النصِّ حكمًا أو حكمين، ويفهمُ منه الآخرُ مئةً أو مئتين.

فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماءَ للناس، فانتفعوا به؛ هذا يشربُ منه، وهذا يسقي، وهذا يزرع.

فهؤلاء القسمان هم السُّعداء، والأولون أرفعُ درجةً وأعلى قدرًا، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

القسم الثالث: الذين لا نصيبَ لهم منه؛ لا حفظًا ولا فهمًا، ولا روايةً ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعانٌ لا تنبتُ ولا تمسكُ الماء، وهؤلاء هم الأشقياء.

والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم، كلٌّ بحسب ما قَبِلَه ووصلَ إليه؛ فهذا يعلِّمُ ألفاظَ القرآن ويحفظُها، وهذا يعلِّمُ معانيه وأحكامَه وعلومَه. والقسمُ الثالث لا علمَ ولا تعليم؛ فهم الذين لم يرفعوا بهدى الله رأسًا، ولم يقبلوه، وهؤلاء شرٌّ من الأنعام، وهم وقودُ النار.

فقد اشتملَ هذا الحديثُ الشريفُ العظيمُ على التنبيه على شرف العلم والتعليم، وعِظَم موقعه، وشقاء من ليس من أهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيِّهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلى سابقٍ مُقَرَّبٍ وصاحبِ يمينٍ مُقْتَصِد.

وفيه دلالةٌ على أنَّ حاجةَ العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر، بل أعظم، وأنهم إذا فقدوا العلمَ فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث.

قال الإمام أحمد: (الناسُ محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ يُحتاجُ إليه في اليوم مرةً أو مرتين والعلمُ يُحتاجُ إليه بعدد الأنفاس).

وقد قال تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾ [الرعد:١٧].

شبَّه سبحانه العلمَ الذي أنزله على رسوله بالماء الذي أنزله من السماء؛ لِمَا يحصُل بكلٍّ واحدٍ منهما من الحياة ومصالح العباد في معاشهم ومعادهم.

ثمَّ شبَّه القلوبَ بالأودية؛ فقلبٌ كبيرٌ يسع علمًا كثيرًا، كوادٍ عظيم يسعُ ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغيرٌ إنما يسعُ علمًا قليلًا، كوادٍ صغيرٍ إنما يسعُ ماءً قليلًا؛ فقال: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧].

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ [الرعد:١٧]، هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للعلم حين تخالِطُ القلوبَ بشاشتُه؛ فإنه يستخرجُ منها زَبَدَ الشُّبهات الباطلة، فيطفو على وجه القلب، كما يستخرجُ السَّيلُ من الوادي زَبَدًا يعلو فوق الماء.

وأخبرَ سبحانه أنه رابٍ، أي: يطفو ويعلو على الماء، لا يستقرُّ في أرض الوادي، كذلك الشُّبهاتُ الباطلةُ إذا أخرجها العلمُ رَبَتْ فوق القلب وطَفَتْ، فلا تستقرُّ فيه، بل تجُفى وتُرمى، ويستقرُّ في القلب ما ينفعُ صاحبَه والناسَ من الهدى ودين الحقِّ، كما يستقرُّ في الوادي الماءُ الصافي، ويذهبُ الزَّبدُ جفاءً، وما يعقِلُ عن الله أمثالَه إلا العالِمون.

ثمَّ ضربَ سبحانه لذلك مثلًا آخر، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ [الرعد:١٧]، يعني: أنَّ مما يُوقِدُ عليه بنو آدم من الذهب والفضة والنحاس والحديد يخرجُ منه خَبَثُه، وهو الزَّبدُ الذي تلقيه النارُ وتُخْرِجُه من ذلك الجوهر بسبب مخالطتها، فإنه يُقْذَفُ ويلقى به، ويستقرُّ الجوهرُ الخالصُ وحده.

وضربَ سبحانه مثلًا بالماء؛ لما فيه من الحياة والتبريد والمنفعة، ومثلًا بالنار؛ لما فيها من الإضاءة والإشراق والإحراق، فآياتُ القرآن تحيي القلوبَ كما تحيى الأرضُ بالماء، وتُحْرِقُ خبثَها وشبهاتها وشهواتها وسخائمَها كما تُحْرِقُ النارُ ما يلقى فيها، وتميِّزُ زَبَدَها من زُبَدِها كما تميِّزُ النارُ الخبثَ من الذهب والفضَّة والنحاس ونحوه منه.

فهذا بعض ما في المثل العظيم من العبرة والعلم، قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٣]. اهـ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (١/ ٦) من "مجموع الفتاوى": تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٣١٥١): عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: قَالَ: (سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو جَهْلٍ).

والحديث رجاله ثقات من رجال الشيخين.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الدرر السنية": (١/ ٦٣): أعظم المراتب وأجلها عند الله: الدعوة إليه، التي قال الله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ**﴾ الآية [سورة فصلت آية:٣٣]، وفي الحديث: «**والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا، خير لك من حمر النعم**».

الفصل الثاني: أسباب قوتها ونجاحها

السبب: تعريفه كما قال ابن منظور في "لسان العرب": (٦/ ١٣٩). ط. إحياء التراث.

والسبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره.

وقال الراغب الأصفهاني كما في "مفردات القرآن"، ص(٣٩١). ط. دار القلم.

السبب: كل ما يتوصل به إلى غيره. اهـ بتصرف.

السبب الأول: الإخـلاص:

وهذا السبب أهم ما يتحلى به الداعية، فهو روح العبادة ومادة النجاح، ومنبع كل فضيلة، وعنوان سعادة العبد، وقائد إلى أبواب الخير، وجامع لخصال البر، وهادٍ إلى سبيل الرشاد. قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف:٢٩].

وقال سبحانه: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠].

وقال عن يوسف: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف:٢٤]، وقال تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر:٢].

وأخرج البخاري رقم (١)، ومسلم: (١٩٠٧)، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّةِ**».

قال ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الإفصاح عن معاني الصحاح": (١/ ١٣٦): إذ لا يقبل اللهُ عملًا إلا بنية، حتى إن المسلم يضاعف له الثواب على أكله وشربه وقيامه وقعوده ونومه ويقظته على حسب نيته في ذلك.

وأخرج النسائي برقم (٣١٤٠)، عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»، صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٥٢).

وقد كان سلف الأمة يجتهدون في المحافظة على الإخلاص بالرغم من تزين الدنيا لهم وكثرة الدواعي الموجبة لإظهار أعمالهم، ولذا أعقبهم الله ذكرًا في الحياة وبعد الممات. أخرجه أبو نعيم في "الحلية": (١٦٧- ١٣٠).

-وعن الشعبي قال: (كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «**مَنْ خَلُصَتْ نِيَّتُهُ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ شَانَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا ظَنُّكَ فِي ثَوَابِ اللهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ؟ وَالسَّلَامُ**»). [الحلية لأبي نعيم: (١/ ٥٠)]

وفي "طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى: (١/١٤٧): أنه لما ذُكِرَ للإمام أحمد بن حنبل الصدق والإخلاص، قال: (بهذا ارتفع القوم).

وقال سفيان الثوري كما في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (٦٩٢): ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي.

وقال شيخ الإسلام كما في "النبوات": (١/ ٤٠٩): الإخلاص لله: أن يكون الله هو مقصود المرء، ومراده، فحينئذٍ تنفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إعلام الموقعين": (٤/ ٢٠٠): وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي

قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبَسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَيْ الزُّورِ مِنْ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبَغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الفوائد": (٤٩): العمل بلا إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه.

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاواه":

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم.

أولاً: منها: الإخلاص، فيجب على الداعية أن يكون مخلصًا لله عز وجل، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ**﴾ [يوسف:١٠٨]، وقال عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ**﴾ [فصلت:٣٣].

فعليك أن تخلص لله عز وجل، هذا أهم الأخلاق، هذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة. اهـ

قلت: من لم يكن متصفًا بهذا الخصلة فدعوته فاشلة، ولا يستطيع أن يحقق نجاحًا وقبولًا، فإن الله إذا علم صدق الداعي أقبل بقلوب الخلق عليه.

السبب الثاني: أن يكون الداعي عالمًا بما يدعو إليه.

قال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ، وهو خطاب له ولكل داع يريد أن يسلك سبيله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

أخرج البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣)، عن عبد الله بن عمرو قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في التفسير القيم: (٣٣٢)، عند قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، الآية.

وإذا كانت الدعوة إلى الله، أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به، وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ العلم إلى حد أدنى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز هذا المقام. اهـ

وقال الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "أضواء البيان" عند تفسير هذه الآية، سورة يوسف: ويشترط في الآمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به، أن ما يأمر به معروف ، وأن ما ينهى عنه منكر، لأنه إن كان جاهلاً بذلك فقد يأمر بما ليس بمعروف ، وينهى عما ليس بمنكر ، ولا سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل وصار فيه الحق منكراً ، والمنكر معروفاً و الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] الآية، فدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة ، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه ،

وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة ، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق، لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، الآية، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق ، فإنها تضر أكثر مما تنفع. اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتاب "النصائح من الدرر السنية": (٢٨٦): فمن لم يكن له بصيرة في مقام الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ففساده أكثر من صلاحه، ولو حسنت نيته.

وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يكون عالما بما يأمر به، عالما بما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به: رفيقا فيما ينهى عنه.

واعلموا أن الدين بين الغالي والجافي، فمن غلا فيه فهو والجافي سواء.

وسئل العلامة ابن باز كما في "الفتاوى الإسلامية": (٢٧٤): عن الداعية إلى الله جل وعلا فيمَ تكمن صفاته من وجهة نظركم؟

الجواب قال: حرصه على العلم، واجتهاده في معرفة الأدلة الشرعية، وبذل المستطاع في دعوة الناس إلى توحيد الله واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه مع البداءة بنفسه واجتهاده في تطبيق أحكام الشريعة عليها حتى يكون من الدعاة إلى الله سبحانه بأقواله وأعماله وسيرته وأخلاقه، والله ولي التوفيق. اهـ

ولأهمية العلم أمر الله نبيه ﷺ: أن يسأل ربه المزيد منه.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مفتاح دار السعادة": (١/ ٥):

عند قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وكفى بهذا شرفًا للعلم أنْ أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه.

قلت: لابد من توفر العلم في الداعي، وما يدعو إليه، وكلما كان الداعي متمكنًا من العلم كلما عَظُمَ نفعه، وأقبل الله بقلوب الخلق عليه.

السبب الثالث: البدء بالتوحيد

ومن تأمل في حال الأنبياء مع أممهم يجد أنهم بدأوا أقوامهم بالتوحيد وإرساء قواعده، ودعوا إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال الله عز وجل عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال الله عن صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣].

وقال عن شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥].

وقال الله عز وجل مخبرًا عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٣-١٩].

وتأمل كيف بدأ ولده بالتوحيد، ونهاه عن الشرك، ثم حظه على طاعة الوالدين، وملازمة الصلاة، والأمر بالمعروف والصبر على الأذى، ونهاه عن تصعير الخد..) إلى آخر ما ذكر في الآيات في وصية لقمان لابنه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وكان من هديه ﷺ لما مكث ثلاثة عشر سنة في مكة، قبل الهجرة إلى المدينة، كان يدعوهم إلى توحيد الله وإفراد العبادة له.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسند برقم (٢٣١٥١): عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي إِمْرَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**» ، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو جَهْلٍ.

والحديث رجاله ثقات، من رجال الشيخين.

وأخرج البخاري برقم (٧٣٧٢)، عن ابن عباس: لما بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

أخرج ابن ماجه برقم (٦١)، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**».

والحديث صححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٢٧٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" كما في فصل العزم، ص(١٥٤):

وَأَنَّ مَقَامَ التَّوْحِيدِ أَوْلَى الْمَقَامَاتِ أَنْ يُبْدَأَ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» وَفِي رِوَايَةٍ: (**إِلَى أَنْ يَعْرِفُوا اللَّهَ**)، وَلِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ مَقَامٌ مِنَ الْمَقَامَاتِ، وَلَا حَالٌ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا بِهِ، فَلَا وَجْهَ لِجَعْلِهِ آخِرَ الْمَقَامَاتِ، وَهُوَ مِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ. اهـ

قلت: وكان من أصول وأسس دعوة أهل السنة والجماعة: الدعوة إلى التوحيد والاهتمام به، بخلاف غيرهم من الدعوات كدعوة الإخوان المفلسين وجماعة التبليغ، والجمعيات، فإنهم لا عناية لهم بالتوحيد ولذا باءت دعوتهم بالفشل.

السبب الرابع: العفــة:

العفة عن سؤال الناس والتطلع لما في أيديهم من أهم الأمور التي يحرص عليها الداعي إلى الله، سلامة لدعوته، وصونًا لعرضه، فإن الناس يحتقرون من لم يكن عفيفًا، ويزهدون فيما عنده من الخير، بسبب استشرافه وعدم عفته.

ومن تأمل في دعوة الأنبياء عليهم السلام، فإنهم كانوا لا يسألون الناس أموالهم، قال الله تعالى مخبرًا عن نوح: أنه قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:٢٩].

وقال تعالى مخبرًا عن هود أنه قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [هود:٥١].

وقال تعالى مخبرًا عن صالح أنه قال لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٤٥].

وقال تعالى مخبرًا عن لوط أنه قال لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦٤].

وقال تعالى مخبرًا عن شعيب أنه قال لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٨٠].

وقال تعالى مخبرًا عن نبيه وعبده محمد ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٥٧].

ومن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام في دعوته، فقد كان عفيفًا عما في أيدي الناس، فمن ذلك:

ما أخرجه البخاري برقم: (٤٢٨)، ومسلم رقم: (٥٢٤)، عن أنس قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ، فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ .. فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ**».

الشاهد: لم يقل لهم عليه الصلاة والسلام: نريد أن نبني مسجدًا، ونريد أرضًا، بل أراد أن يدفع لهم ثمن الأرض التي أراد أن يبني فيها مسجدًا، وهذا الصنيع من أقوى الأدلة في عفته ﷺ.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٣٢٥) عن أبي ذر، قال: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟**» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**تَعَفَّفْ**»، وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١١٧٥).

وهكذا كان أسلافنا رحمة الله عليهم ملازمين للعفة، داعين إليها، فقد ضربوا لنا أروع الأمثلة في التعامل بها، **فمن ذلك**:

ما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" برقم: (٦٥٣٤)، عن ابن المبارك: (أنه سئل من السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه).

وذكر ابن كثير في "البداية والنهاية": ص(٢١٠): في ترجمة عبد الله بن محيريز، أنه: (دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوبًا فرفع في السوم، فقال له جاره: ويحك هذا ابن محيريز ضع له، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال: اذهب بنا، إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأديانا، فذهب وتركه). اهـ

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" برقم (١٧٧٢) بسنده إلى إبراهيم النخعي: (أَنَّهُ مَرَّ بِغُلَامٍ مَعَهُ تِينٌ فِي بَنِيقَةٍ ، فَقَالَ: أَعْطِنَا بِدَانِقٍ مِنْ هَذَا ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَمَضَى إِبْرَاهِيمُ ، وَنَظَرَ رَجُلٌ إِلَى صَاحِبِ التِّينِ ، فَقَالَ لَهُ: إِيشِ قَالَ لَكَ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي: أَعْطِنِي مِنْ هَذَا التِّينِ بِدَانِقٍ ، قَالَ: الْحَقْهُ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ مَا يُرِيدُ ، وَخُذْ مِنِّي الثَّمَنَ ، فَلَحِقَهُ فَقَالَ: يَا عَمِّ خُذْ مِنْ هَذَا التِّينِ مَا تُرِيدُ ، فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ: لَا نَبْتَاعُ التِّينَ بِالدِّينِ). اهـ

قال الإمام الشافعي كما في "مناقب الشافعي للبيهقي": (١/ ٢٨٢): من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جَزُل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. اهـ

وسئل الإمام أحمد كما في "السير": (١١/ ١٢)، كيف السبيل إلى السلامة من الناس؟ فأجاب: تعطهم ولا تأخذ منهم، يؤذونك ولا تؤذهم، تقضي مصالحهم ولا تكلفهم بقضاء مصالحك، فقيل: صعب يا إمام، قال: وليتك تسلم. اهـ

وقال الخطيب البغدادي كما في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٧٨): وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضُعًا،

وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقَلَّهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآدَابِهِ ، وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا.

وأخرج الإمام ابن أبي حاتم كما في "مقدمة الجرح والتعديل"، ص(٢٩٩): عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: دخلت يومًا على أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أيام الواثق، -والله يعلم على أي حالة نحن-، وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبد يجلس عليه، وقد أتى عليه سنين كثيرة حتى قد بلي وإذا تحته كتاب كاغذ وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك وتوسع على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة وانما هو شيء ورثته من أبي، فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخلت قلت: يا أبه ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إليَّ ونحن في عافية، فأما الدين فأنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة، والحمد لله.

فذهب بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فلما كان بعد حين ورد عليه كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما ورد، فلما مضت سنة أقل أو أكثر ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت. اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى": (١/ ٣٩): فأعظم ما يكون العبد قدرًا وحرمة عند الخلق: إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم: كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم. اهـ

قلت: ومن هؤلاء الأعلام المجددين المعاصرين الذين حافظوا على دعوتهم وصانوها، وكانوا ملازمين للعفة بعيدين عن الجمعيات وأهل الدنيا: الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان عفيفًا رحمة الله تغشاه.

قال العلامة الوادعي كما في "تحفة المجيب"، ص(١٩٦):

وبعد أن وصلنا إلى اليمن جاءني أناس من الكويت منهم الأخ عبد الله السبت، وقالوا: نحن لا نستطيع نساعدك إلا إذا كنت مرتبطًا بمؤسسة حكومية.

فقلت لهم: نحن لا نبيع دعوتنا لأحد، فإن شئتم أن تساعدوا الدعوة بدون شروط ولا قيد فعلتم، وإن كان هناك شروطًا، فيغنينا الله عز وجل عن مساعدتكم. اهـ

السبب الخامس: حسن الخلق.

ومن الأمور التي ينبغي على الداعي ألا يغفل عنه: حسن الخلق، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

والمراد: بحسن الخلق هنا: ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى": (١/ ٦٥٨): وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدًا ﷺ، فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا هكذا، قال مجاهد وغيره: وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**كان خلقه القرآن**» وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر. اهـ

وقد وصف الله نبيه بهذا الخلق الجم، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]، وكان من مقاصد البعثة النبوية: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده برقم: (٨٩٥٢)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»، وفي رواية: (**مَكَارِمَ**) الحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٤٥).

ومن المكارم التي دعا ﷺ إلى التحلي بها: حسن الخلق.

-فلأهمية حسن الخلق جعله النبي ﷺ سبيلا موصلًا إلى الجنة:

أخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٠٠٤)، عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**»، والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٩٧٧).

-وجعل النبي عليه الصلاة والسلام التحلي به من كمال الإيمان.

أخرج البزار في مسنده برقم: (٦٤٤٥)، عن أنس بن مالك، قال: قال ﷺ: «**إن أكملَ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»، والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٥٩٠).

-ولأهميته فهو مما يثقل العبد به ميزان حسناته يوم القيامة:

أخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٠٠٢)، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ، قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمنين يوم القيامة من خلق حسن**»، الحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٠٣٧).

وقد أمر النبي ﷺ أبا ذر أن يأخذ به، أخرج الإمام الترمذي في سننه برقم: (١٩٨٧)، عن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبعِ السيةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في "صحيح الجامع"، برقم: (٩٧).

وجعل النبي ﷺ رتبته في رتبة الصيام والقيام:

أخرج أبو داود في "سننه" برقم: (٤٧٩٨)، عن عائشة، قالت: قال ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**».

والحديث صححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٧٩٥)، وعلّق النبي ﷺ دخول الجنة لمن كان متحليًا به.

أخرج أبو داود برقم: (٤٨٠٠)، عن أبي أمامة، قال: قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»، والحديث صححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢٧٣).

قلت: مما ينبغي على الداعي إلى الله سبحانه: أن يكون على مستوى عالٍ من الأخلاق الحسنة، من الابتسامة وبشاشة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، والكلمة الطيبة، وأن يكون خافضًا جناحه لهم، فإنه إن كان على هذا المستوى من الأخلاق جذب قلوب الناس، وأسر أفئدتهم وأحبوا دعوته.

السبب السادس: التطـاوع:

من أعظم الأسباب التي بها قوة الدعوة وظهورها: **التطاوع واجتماع الكلمة**، وعدم الانفراد بالرأي، وقد أرشد إلى هذا التعامل النبي ﷺ لما بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن.

أخرج البخاري برقم: (٣٠٣٨)، ومسلم برقم: (١٧٣٣)، عن أبي بردة، قال: بعث النبي ﷺ أبي ومعاذ بن جبل إلى اليمن، فقال: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**».

قال الحافظ ابن حجر كما في "فتح الباري" تحت رقم: (٧١٧٢).

قوله: (وتطاوعا)، أي: توافقا في الحكم ولا تختلفا لأن ذلك يؤدي إلى اختلاف اتباعكما فيفضي إلى العداوة، ثم المحاربة والمرجع في الاختلاف إلى ما جاء في الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [النساء:٥٩].

قال ابن بطال وغيره: في الحديث الحض على الاتفاق لما فيه من ثبات المحبة والألفة والتعاون على الحق، وفيه: جواز نصب قاضيين في بلد واحد فيقعد كل منهما في ناحية.

وقال ابن العربي كان النبي ﷺ أشركهما فيما ولاهما، فكان ذلك أصلاً في تولية اثنين قاضيين مشتركين في الولاية كذا جزم به، قال: وفيه نظر؛ لأن محل ذلك فيما

إذا نفذ حكم كل منهما فيه، لكن قال ابن المنير: يحتمل أن يكون ولاهما ليشتركا في الحكم في كل واقعة، ويحتمل أن يستقل كل منهما بما يحكم به، ويحتمل أن يكون لكل منهما عمل يخصه، والله أعلم كيف كان.

وقال ابن التين: الظاهر اشتراكهما لكن جاء في غير هذه الرواية: أنه أقر كلا منهما على مخلاف، والمخلاف: الكورة، وكان اليمن مخلافين، قلت: وهذا هو المعتمد، والرواية التي أشار إليها تقدمت في غزوة حنين باللفظ المذكور.

وتقدم في المغازي: أن كلا منهما كان إذا سار في عمله، زار رفيقه وكان عمل معاذ النجود وما تعالى من بلاد اليمن، وعمل أبي موسى التهائم وما انخفض منها، فعلى هذا: فأمره ﷺ لهما بأن يتطاوعا ولا يتخالفا محمول على ما إذا اتفقت قضية يحتاج الأمر فيها إلى اجتماعهما وإلى ذلك أشار في الترجمة، ولا يلزم من قوله (تطاوعا ولا تختلفا) أن يكونا شريكين كما استدل به ابن العربي، وقال أيضًا: فإذا اجتمعا فإن اتفقا في الحكم وإلا تباحثا حتى يتفقا على الصواب وإلا رفعا الأمر لمن فوقهما.

وفي الحديث: الأمر بالتيسير في الأمور والرفق بالرعية، وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة؛ لئلا تنفر قلوبهم، ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام أو قارب حد التكليف من الأطفال، ليتمكن الإيمان من قلبه ويتمرن عليه، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لا يشدد عليها بل يأخذها بالتدريج والتيسير حتى إذا أنست بحالة داومت عليها، نقلها لحال آخر وزاد عليها أكثر من الأولى حتى يصل إلى قدر احتمالها ولا يكلفها بما لعلها تعجز عنه.

وفيه: مشروعية الزيارة وإكرام الزائر. اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين كما في "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين": (١٧٩): ينبغي للإنسان أن لا يخالف إخوانه ولا يشذ عنهم، ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرسل البعوث للدعوة إلى الله، أو للجهاد في سبيل الله ويأمرهم أن يتطاوعوا؛ يعني يؤمر أميرين ويقول لهما: «**تطاوعا ولا تختلفا**»، يعني فليطع بعضكم بعضاً، ولا تختلفوا؛ لأن الخلاف لا شك أنه شر، وتفريق للأمة وتمزيق لشملها، وهذا الدين الإسلام له عناية كبيرة بالاجتماع وعدم التفرق وعدم التباغض.

ولهذا نهى عن كل معاملة تكون سبباً للتعادي والتباغض؛ «**فنهى عن البيع على بيع المسلم، ونهى عن الخطبة على خطبة المسلم، ونهى عن السوم على سوم أخيه**»، ونهى عن أشياء كثيرة مما يدل على أن النبي ﷺ لا يريد من أمته أن تتفرق وتتمزق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران:١٠٣].

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" برقم: (١٦٩٨): عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ ذَاتِ السَّلاسِلِ، فَاسْتَعْمَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، وَاسْتَعْمَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى الْأَعْرَابِ، فَقَالَ لَهُمَا: تَطَاوَعَا، قَالَ: وَكَانُوا يُؤْمَرُونَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَى بَكْرٍ، فَانْطَلَقَ عَمْرٌو، فَأَغَارَ عَلَى قُضَاعَةَ؛ لِأَنَّ بَكْرًا أَخْوَالُهُ، فَانْطَلَقَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَكَ عَلَيْنَا، وَإِنَّ ابْنَ فُلانٍ قَدِ ارْتَبَعَ أَمْرَ الْقَوْمِ، وَلَيْسَ لَكَ مَعَهُ أَمْرٌ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، «**أَمَرَنَا أَنْ نَتَطَاوَعَ**»، فَأَنَا أُطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْ عَصَاهُ عَمْرٌو).

والحديث رجاله ثقات.

والشاهد: أن النبي ﷺ أمرهما بالتطاوع، فإن التطاوع مما تجمع به الكلمة وتحفظ به الدعوة من الخلافات والصراعات، قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

السبب السابع: الرفـــق.

وهذا من الآداب التي أمر الله بها نبيه ﷺ، ونهاه عن ضدها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقد أمر الله نبيه موسى وهارون عليهما السلام، في مقام الدعوة أن يدعو فرعون بالرفق لما له من الأثر في قلوب الناس، قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٣-٤٤].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية من سورة طه:

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:٤٤]. يَقُولُ: دَارِيَاهُ وَارْفُقَا مَعَهُ.

قال القرطبي كما في "جامع أحكام القرآن"، عند هذه الآية: فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا ووجهه منبسطًا طلقًا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" عند هذه الآية من [سورة طه: ٤٤]:

﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه:٤٤] أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، ﴿لَعَلَّهُ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:١٨-١٩]، فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ(هل) الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ولم يقل (أزكيك) بل قال: ﴿تَزَكَّى﴾ أنت بنفسك ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:١٩]، فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر. اهـ

وقد أمر الله جل وعلا بالرفق في الجملة، قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

وقد حث النبي ﷺ على الرفق بجميع صوره في جميع مجريات الحياة، أخرج البخاري برقم: (٦٠٢٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ، قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**». اهـ

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٢٥٩٢)، عن جرير عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ**».

وقال محمد بن عبد اللطيف كما في "الدرر السنية": (٢٨٦): وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن يكون عالما بما يأمر به، عالما بما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به: رفيقا فيما ينهى عنه.

-وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفريغ "سلسلة الهدى والنور": الشريط رقم: (١٩): فوصيتي لنفسي أولًا، ولكل إخواننا، ومنهم: هؤلاء الذين يعيشون هناك في ثغرة، أن يستعملوا هذا اللطف وهذا الرفق بالذين يخالفونهم، ولا يلجئوا إلى الشدة والعنف، فإن عاقبتها وخيمة جدًا.

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز": (٤/ ٢٢٦): فلا بد من الرفق كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه** »، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**»، فعلى المسلم في دعوته الرفق، والأسلوب الحسن، حتى يستجاب له، وحتى لا يقابل بالرد أو بالأسلوب الذي لا يناسبه.

فإن بعض الناس لما عنده من الشدة وسوء الخلق قد يقابل بالشتم والسب الذي يزيد الطين بلة، فمتى كان الداعي إلى الله ذا أسلوب حسن، حكيما رفيقًا فإنه لا يعدم قبول دعوته أو على الأقل الكلام الحسن والمقابلة الحسنة من المدعو، الذي يرجى من الرفق به أن يتأثر بدعوته ويستجيب لها، والله المستعان. اهـ

وقال العلامة العثيمين كما في "الشرح الممتع": (٣/ ٢٠٤) بعد ذكر مسألة فقهية: ولهذا ينبغي لطَلَبَةِ العِلم أن يُنبِّهوا النَّاسَ، ولكن بالرفق، لأنَّ العامة إذا أُنكِرَ عليهم ما اعتادوه نفروا، فإذا أُتوا بالحكمة واللِّين قَبِلوا. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب"، ص(٢٣٦): فعلينا أن ندعو الناس بالرفق واللين إلى سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله فالناس مستجيبون على أحسن ما يرام. اهـ

قلت: الرفق الذي ينبغي عليه الداعي إلى الله سبحانه أن يكون عليه أن ينزِّل الأدلة الشرعية منزلتها، فليس الرفق محمودًا في كل شيء وليست الشدة مذمومة في كل شيء، بل كلٌ بحسبه.

وهذا ما قرره العلماء رحمهم الله، تتبعًا للأدلة واستقراءً لها.

السبب الثامن: الزهد في الدنيا:

والمراد بالزهد هنا: ما قرره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النفيس: "الفوائد" ص(١١٨)، حيث قال: الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة.

وهذا السبب من أسباب قوة الدعوة، وظهورها أن يكون الداعي إلى الله زاهدًا في الدنيا راغبًا عنها، مقبلًا على الآخرة، فإن الإنسان إذا زهد فيما عند الناس أحبه الناس، وإذا زهد في الدنيا أحبه الله سبحانه، وهذا ملاحظ وملموس أن من نازع الناس في دنياهم ذموه، وحسدوه، وقد كان أسوة الخلق وإمام الأتقياء عليه الصلاة والسلام زاهدًا في الدنيا وضرب لنا أروع الأمثلة في زهده للدنيا وذمه لها، وإقباله على الآخرة.

قال تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].

أخرج الإمام البخاري عن عائشة برقم: (٣٠٩٧)، قالت: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ**».

أخرج البخاري برقم: (٦٤٥٥)، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ**».

وأخرج البخاري برقم: (٤١٠١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ**» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ**»، قَالَ: «**قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**»، فَقَالَ: «**قُومُوا**»، فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا**» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**».

-أخرج الإمام البخاري برقم: (٣٥٧٨)، ومسلم برقم: (٢٠٤٠): عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي

الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِطَعَامٍ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا.

وأخرج مسلم برقم: (٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ.

-أخرج الإمام مسلم برقم (٢٩٧٧): عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ**».

-وأخرج الإمام البخاري برقم: (٢٣٨٩): عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**».

-وأخرج الإمام مسلم برقم: (٢٠٣٨): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ -أَوْ لَيْلَةٍ- فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**».

-وأخرج البخاري برقم: (٦٤١٦)، عن ابن عمر، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**».

ومن تأمل في حياة أسلافنا وتراجم علمائنا فقد كانوا بعيدين عن الدنيا ذامين لها، زاهدين فيها.

قال ابن جماعة كما في "تذكرة السامع" (٦٩)، الفصل الأول في آدابه في نفسه، وهي اثنا عشر نوعًا: (**الثالث: أن يتخلق بالزهد في الدنيا**، والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله، فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يُعَدُّ من الدنيا، وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا؛ لأنه أعلم الناس بخستها، وفتنتها، وسرعة زوالها، وكثرة تعبها ونصبها، فهو أحق بعدم الالتفات إليها، والاشتغال بهمومها. اهـ

قال الذهبي كما في "السير": (١٢/ ١٣٦) في ترجمة نصر بن علي، قال أبو بكر بن أبي داود: كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن علي يشخصّه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة، وأمره بذلك، فقال: أرجع، وأستخير الله تعالى، فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلى ركعتين، وقال: اللّهم إن كان لي عندك خير، فاقبضني، فنام، فأنبهوه، فإذا هو ميت. اهـ

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "السير": (٨/ ٤٢٩):

في موعظة الفضيل بن عياض لما وعظ هارون الرشيد: قال له: خذ لما جئناك له -رحمك الله- فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم: إن أردت النجاة فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت، وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم أخا، وأصغرهم ولدا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يوما تزل فيه الأقدام، فهل معك -رحمك الله- من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى بكاء شديدا، حتى غشي عليه. اهـ

وفي "الحلية" لأبي نعيم: (٧/ ٨٢): أن سفيان الثوري أوصى علي بن الحسن السلمي بوصية عظيمة، وفيها: (.. وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة ، وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا ، فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك..). اهـ

وقال ابن الجوزي كما في "صيد الخاطر": (٢٤٥): ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزًّا ولا شرفًا ولا راحةً ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق؛ لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم، ولا يعظم عندهم قدر المخالط لهم، ولهاذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم، وإذا رأي العوام أحد العلماء مترخصًا في أمر مباح، هان عندهم.

فالواجب عليه صيانة علمه، وإقامة قدر العلم عندهم. اهـ

السبب التاسع: الحكمـة:

لما كانت الحكمة من الأمور والأساليب التي يحتاجها الداعي إلى الله، أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يستخدمها في دعوته.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، الآية.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تفسيره عند هذه الآية: أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا

تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. اهـ

-قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مقدمة أضواء البيان، ص(١٠٥)، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، الآية: فدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق ؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق، فإنها تضر أكثر مما تنفع، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا، إلا لمن جمع بين العلم، والحكمة، والصبر على أذى الناس. اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كما في "الصواعق المرسلة": (١٢٧٧): قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، الآية: فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه **إما أن يكون** طالبا للحق راغبًا فيه محبًا له مؤثرًا له على غيره، إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

وإما أن يكون معرضًا مشتغلاً بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإما أن يكون معاندًا معارضًا فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مدارج السالكين": (٢/ ٤٤٩): فَالْحِكْمَةُ إِذًا: فِعْلُ مَا يَنْبَغِي، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي. اهـ

قال العلامة العثيمين كما في "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين": (٣١٦):

يجب على الداعية إلى الله عز وجل أن يراعي أحوال المدعوين، فإذا كانوا مقصرين في الصلاة مثلاً فليركز على الحث على الصلاة وعدم التهاون بها، وبيان عقوبة من تركها، وحكمه في الدنيا والآخرة، وإذا كان عندهم شيء من الشرك فليركز على التوحيد والإخلاص وما أشبه ذلك، وإذا كان عندهم تهاون بالزكاة فليركز على الزكاة.

المهم أن الداعية من الحكمة أن يراعي أحوال المدعوين، كذلك أيضًا يراعي أحوالهم بالنسبة للشدة واللين، فإذا رأى منهم انقيادًا وسهولة قابلهم باللين والسهولة، وإذا رأى منهم عتوًا ونفورًا فليقابلهم بما تقتضيه الحال وتحصل به المصلحة، ثم إن من أهم ما يكون في الداعية أن يكون هو أول من يتلبس بما أمر به، ويبتعد عما نهي عنه، فليس من اللائق شرعًا ولا عقلاً أن يأمر بشيء ولا يفعله، أو أن ينهي عن شيء ويفعله فإن الإنسان إذا كان على هذا الحال لم يقبل منه الناس، اللّهم إلا من لا يعرف عن حاله، وأما من عرف حاله فإنه يقول: إن هذا الرجل كاذب لو كان صادقًا فيما أمر به لكان

هو أول من يلتزم له، ولو كان صادقًا فيما نهي عنه لكان أول من يجتنبه، وعلى الداعية أيضا أن يلاحظ الزمان والمكان في الدعوة إلى الله عز وجل فيدعو في المكان الذي تكون فيه الإجابة أقرب وكذلك في الزمان؛ لأن مراعاة هذه الأمور من الحكمة التي قال الله تعالى فيها: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاواه"، (٧/ ٣٠٠):

فلا بد من الحكمة في الدعوة بالعلم، والعلم يدعو إلى الرفق وإلى تقديم الأفضل فالأفضل، ويدعو إلى تقديم الأهم فالأهم، والدعوة إلى إزالة منكر إذا كانت تؤدي إلى منكر أشد لا تجوز، والدعوة إلى فعل أمر يؤدي إلى ما هو أخطر منه لا تجوز، فالواجب السعي فيما هو سبب لتكثير الخير وتقليل الشر، والبعد عن ما هو أشر وأعظم. اهـ

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب"، ص(٢٢٥): أما أهل السنة فإنّهم الآن ليسوا محتاجين إلى العنف، فالناس مستجيبون لهم غاية الاستجابة، لأنّهم لا يدعون إلى أنفسهم ولكن يدعون إلى سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأهل السنة لم يستطيعوا سد ربع بل ربع عشر الفراغ في الدعوة إلى الله، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل:١٢٥].

فقد رأينا في بلدنا اليمنية: أن الدعوة بالحكمة والموعظة أنفع للإسلام والمسلمين، ورأينا الناس بحمد الله على أحسن ما يرام، فلا ينبغي أن ننفرهم عن هذا الخير، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا**»، والذي يستعمل العنف هم الجاهلون كالحزبيين وغيرهم، أما أهل السنة فلا يستعملون العنف. اهـ

قلت: الحكمة أن يتعامل الداعي إلى الله مع جميع طبقات المجتمع كل بحسبه، فيتعامل مع الجاهل بما يناسبه، ويتعامل مع المتعلم بما يناسبه، ويتعامل مع الصغير بما يناسبه، كل ذلك تأسيًا بما كان عليه رسول الله ﷺ.

وليس من الحكمة التنازل عن الدين البتة، فلو لم يكن الداعي إلى الله متصفًا بالحكمة لباءت دعوته بالفشل.

السبب العاشر: العمل بالعلم:

إن الناس ينظرون إلى الداعي بمنظار دقيق، يلاحظون أفعاله وأقواله، فينبغي على الداعي أن يكون مظهره موافقًا لمخبره.

أخرج الإمام معمر بن راشد كما في "جامعه" برقم (٢٠٧١٣) عن ابن عمر قال: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا نَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ - أَوْ قَالَ: جَمَعَ - فَقَالَ: «**إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ، فَإِنْ وَقَعْتُمْ وَقَعُوا، وَإِنْ هِبْتُمْ هَابُوا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُوتَى بِرَجُلٍ مِنْكُمْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ النَّاسَ، إِلَّا أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ لِمَكَانِهِ مِنِّي، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَقَدَّمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَأَخَّرْ**»، وسنده صحيح ورجاله ثقات.

وجدير بالداعي أن يكون على المستوى اللائق به مقتديًا بالأنبياء وأئمة الهدى في سيرهم ومنهجهم في الدعوة والسلوك، وقد ذم الله عز وجل من لم يعمل بعلمه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف:٢].

وقال: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة:٥].

وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:٤٤].

أخرج البخاري برقم (٣٢٦٧) ومسلم برقم: (٢٩٨٩)، عن أسامة بن زيد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

وأخرج ابن حبان في صحيحه برقم: (٥٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ فَقَالَ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يعقلون**»، الحديث صححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (٢٩١).

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع فتاوى ومقالات ابن باز: (١/ ٢٤): ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك. اهـ

السبب الحادي عشر: جبر خواطر الناس عند حلول المصائب عليهم بضوابطه الشرعية:

جبر خواطر الناس ومراعاة مشاعرهم عند حلول المصائب وتوالي النوائب عليهم من أعظم أسباب جذب قلوب الناس.

وهذه العبادة حث عليها الإسلام، ورغب في التعامل بها، ولها الأثر الكبير في قلوب الناس.

قال الله تعالى معاتبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ [عبس:١-٤].

قال القرطبي في "تفسيره": (٢٠/ ٢١٣): فعاتبه الله على ذلك لكيلا تنكسر قلوب أهل الإيمان.

أخرج الإمام البخاري برقم: (١٣٥٦)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ:

«**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: **أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ**، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (١٧٨٠): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَصْنَعُ طَعَامًا يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ نَوْبَتِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، الْيَوْمُ نَوْبَتِي، فَجَاءُوا إِلَى الْمَنْزِلِ وَلَمْ يُدْرِكْ طَعَامُنَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَوْ حَدَّثْتَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يُدْرِكَ طَعَامُنَا، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ، وَبَطْنِ الْوَادِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ**»، فَدَعَوْتُهُمْ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا**»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «**مَوْعِدُكُمُ الصَّفَا**»، قَالَ: فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، قَالَ: وَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتِ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**»، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: " قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَلَا فَمَا اسْمِي إِذًا؟ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ " قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ**».

ولأهمية جبر الخاطر ومراعاة المشاعر، حث النبي ﷺ أصحابَه على ملازمتها، والأخذ بها.

أخرج الإمام مسلم برقم: (٢٥٠٤)، عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي.

أخرج الطبري في تاريخه: (٤/ ٢٢٤) عن سلمة بن الأكوع، قال: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السُّوقِ وَمَعَهُ الدِّرَّةُ، فَخَفَقَنِي بِهَا خَفْقَةً، فَأَصَابَ طَرَفَ ثَوْبِي، فَقَالَ: أَمِطْ عَنِ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ لَقِيَنِي فَقَالَ: يَا سَلَمَةُ، تُرِيدَ الْحَجَّ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إلى منزله فأعطاني ستمائة دِرْهَم، وَقَالَ: اسْتَعِنْ بِهَا عَلَى حَجِّكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا بِالْخَفْقَةِ الَّتِي خَفَقْتُكَ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرْتُهَا! قَالَ: وَأَنَا مَا نَسِيتُهَا. [والأثر حسن].

السبب الثاني عشر: التــزاور وتفقد الأخ لأخيه:

إن من العبادات العظيمة التي يغفل عنها الدعاة لهي عبادة الزيارة في الله، فإنها مما تجَسِّد المحبة بين المتزاورين، وتقوى جانبها الدعوي وتغيض الشيطان، وقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه ويزورهم حبًا في الله وطمعًا فيما عند الله من الثواب للمتزاورين.

أخرج الإمام مالك في "الموطأ" (١٩١٥): عن معاذ بن جبل، قال: سمعت النبي ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»، وصححه الألباني في المشكاة: (٥٠١١).

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٢٥٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

ومن تأمل في حياة أسلافنا فقد كانوا متصفين بهذه العبادة حاثين عليها مرغبين فيها.

قال الإمام الشافعي كما في "الحلية لأبي نعيم": (٩/ ١٠٩): قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَأَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** ﷺ».

وقال محمد بن المنكدر كما في عند أبي نعيم في "الحلية": (٧/ ٢٩٧): (أنه قيل له: مَا بَقِيَ مِنْ لَذَّتِكَ؟ قَالَ: الْتِقَاءُ الْإِخْوَانِ ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ).

وقال مالك بن مغول، كما في "الإخوان" لابن أبي الدنيا برقم: (٨٧): قَالَ لِي طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ «**لَلُقْيَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَسَلِ**».

وقال الحسن البصري كما في "قوت القلوب": (٢/ ٣٦٧): (إخواننا أحب إلينا من أهلينا، إخواننا يذكِّرونا بالآخرة، وأهلونا يذكرونا بالدنيا).

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "قمع المعاند" (٧٠): (ولا يستطيع أحد أن يقاوم المجتمع بمفرده، لابد أن يجمع الصالحين حتى يوازه ولابد للدعاة إلى الله أن يتعاونوا وأن يتزاوروا، فلا يستطيع أحد بمفرده أن يحقق للإسلام شيئًا).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الجامع الكبير" (٢/ ٥٧١): (أهل السنة محتاجون إلى تزاور فيما بينهم وإلى تعاون، وإلا فو الله سيبتلعنا أعداء الإسلام). اهـ

وقد أحسن من قال:

ومـــا المـــرء إلا بإخوانـــه ... بـذا جاءنـا الـنص في المحكـم

يكـــون لـــه ســـائقا للهـــدى ... كـما تقـبضُ الكـف بالمعصـم

والتفقد خلق كريم، تحمله النفوس الطيبة، وتدعو إليه الشريعة المطهّرة، وقد كان من هديه ﷺ وسيرته.

فمن ذلك:

ما أخرجه مسلم برقم: (١١٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ [الحجرات:٢] .. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**»، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**».

وأخرجه مسلم برقم: (٩٢٥)، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَخَا الْأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟**»، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟**» فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ

السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ، حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ.

وأخرج البيهقي في "السنن الكبرى" برقم: (٧٠٢٠)، بسند محتج به عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ جَدِيدٍ حَدِيثِ عَهْدٍ بِدَفْنٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «**قَبْرُ مَنْ هَذَا**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ أُمُّ مِحْجَنٍ كَانَتْ مُولَعَةً بِلَقْطِ الْقَذَى مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «**أَفَلَا آذَنْتُمُونِي**»، فَقَالُوا: كُنْتَ نَائِمًا فَكَرِهْنَا أَنْ نُهِيجَكَ، قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّ صَلَاتِي عَلَى مَوْتَاكُمْ نُورٌ لَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ**»، قَالَ: فَصَفَّ أَصْحَابَهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا. اهـ

وأخرج أحمد في "مسنده": (٥٠٤)، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ زَاهِرٍ أَبَا رُوَاعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ، فَقَالَ: (إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ..)، والأثر صحيح.

وأخرج الحاكم برقم في "مستدركه": (٣٧٣٥)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ**»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢١١٢). اهـ

السبب الثالث عشر: التشـــاور مع أهل العلـم من العلماء والدعاة إلى الله:

لأهمية المشورة أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه، قال الله:

﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقد أمرنا ربنا بالرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٤٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله. اهـ

وأخرج الإمام أبو داود برقم (٥١٢٨): عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٦٤١): والإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٤٠٤).

قال الماوردي كما في "أدب الدنيا والدين"، ص(٣٠٠): من حق العاقل: أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل والعقل الفرد ربما ضل.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إعلام الموقعين": (١/ ٨٤):

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ وَإِصَابَتِهِ أَنْ يَكُونَ شُورَى بَيْنَ أَهْلِهِ، وَلَا يَنْفَرِدُ بِهِ وَاحِدٌ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَوْنِ أَمْرِهِمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَكَانَتْ النَّازِلَةُ إذَا نَزَلَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ عِنْدَهُ فِيهَا نَصٌّ عَنْ اللَّهِ وَلَا عَنْ رَسُولِهِ جَمَعَ لَهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَعَلَهَا شُورَى بَيْنَهُمْ. اهـ

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "سلسلة الهدى والنور"، شريط (١٨٨):

أوصي لمن أراد الارتقاء والترقي في الدعوة إلى الله، أوصيه بأمرين:

الأول: أن يكون كثير الصلة بكتب أهل العلم الماضين المعروفين بالعلم النافع والعقيدة الصحيحة، أن يكون كثير الصلة ولا ينقطع عن الأولين إذا أراد الارتقاء والترقي لا ينقطع عن الأولين عن الذين ماتوا.

ثانيًا: الاتصال بأهل العلم الأحياء ما أمكنه إلى ذلك سبيلا، حتى يتأثر بمسارهم ويستفيد من أخلاقهم وسلوكهم. اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين في "شرح رياض الصالحين": (٤/ ١٥٩):

والذي يشاور لا لابد أن تتوفر فيه ثلاثة أمور:

١-أن يكون صاحب عقل حتى يصدقك النصيحة ولا يخدعك أو يغشك.

٢-أن يكون صاحب علم وخاصة فيما تشاور فيه، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩]. اهـ

السبب الرابع عشر: التألف بالمال.

التألف بالمال له أثر عظيم في جذب قلوب الناس وأسرِ أفئدتهم ولأجل هذا جعل الشارع (المؤلفة قلوبهم) مصرفًا من مصارف الزكاة العامة، وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في تأليف قلوب الأعراب ورؤساء الناس، فمن كان قائمًا على دعوة ووسع الله عليه في جانب المال ألا يُغفِل هذا الباب.

أخرج الإمام البخاري برقم: (٣١٥٠)، ومسلم برقم: (١٠٥٩)، قال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ).

وأخرج البخاري برقم: (٢٧)، ومسلم: (١٥٠)، عن سعد بن أبي وقاص: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَعْطى رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ وَاللهِ، إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ

قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم (١٣٧٣٠)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن رجلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ رَجُلٍ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَجِيءُ إِلَيْهِ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُمْسِي حَتَّى يَكُونَ دِينُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا).

الحديث صححه العلامة الألباني كما في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"، برقم: (٦٣٣٩).

السبب الخامس عشر: الصفــاء والنقــاء:

إن للصفاء والنقاء أهميةً بالغة في قوة الدعوة وانتشارها، فلولا الصفاء والنقاء لم يعرف الحق من الباطل.

قال الله تعالى آمرًا عبادَه المؤمنين بالتميز عن الباطل وأهله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "فتح القدير" عند هذه الآية: ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما يتفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه، ما يصعب علاجه

ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره، ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحق وهو الباطل وأنكر المنكر. اهـ

-وقال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥].

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "سلسلة الهدى والنور": (١٠):

يجب أن نمشي وأن نأخذ بالأسباب الشرعية والكونية في الدعوة إلى معرفة الإسلام والعمل به كما كتب أجمل ذلك بكلمتين موجزتين وهي: لابد من التصفية والتربية.

وقال الإمام الوادعي كما في "تحفة المجيب" على أسئلة الحاضر والغريب، ص(٢٠٨): وننصح أهل السنة أن يتميزوا وأن يبنوا لهم مساجد ولو من اللبن أو من سعف النخل، فإنّهم لن يستطيعوا أن ينشروا سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلا بالتميّز. اهـ

وقال شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري -حفظه الله- كما في "الكنز الثمين من فتاوى طلبة العلم والزائرين" (٥/٣): التصفية من الأهمية بمكان، حيث لا يصلح مجتمع إلا بالتصفية والتربية، فمجتمع يقبل من هب ودب دونما تربية وتصفية والنظير إلى النظير، فمجتمع ينحدر إلى الهاوية ويوشك أن يقع في مغبة التخليط وعدم العناية بالعقيدة، والأخلاق، والقيم، والمبادئ، والفقه في دين الله،

ونصيحتنا لإخواننا بأن نولي التصفية والتربية جل اهتمامنا، وأن نحرص عليها غاية الحرص، فهي ركيزة هامة في الدعوة إلى الله تعالى وسلامة المجتمع، وخاصة طلبة العلم. اهـ

ومرادنا في هذا الباب:

أن يكون الداعي إلى الله على تصفية فيما يدعو إليه، وأن لا يدعو إلا بما كان ثابتًا عن رسول الله ﷺ، وأن يدعو الناس إلى التربية الحسنة والسلوك القويم، وأن يتميز الداعي إلى الله بدعوته عن أهل البدع وأن يعرض بضاعته على الوجه اللائق به.

السبب السادس عشر: الصبر على الأذى.

لقد أمر الله أنبيائه ورسله بالصبر على تحمل أذى الناس في آيات كثيرة، فلو لم يتحلى الداعي إلى الله بالصبر فشل في دعوته، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام:٣٤].

﴿ **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾ [المعارج:٥].

والصبر الجميل: هو الذي ليس فيه شكوى إلى المخلوق.

وقال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان:١٧].

وقال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [النحل:١٢٧].

وقال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾ [المزمل:١٠].

وقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥].

ومن تدبر أحوال الأنبياء مع أقوامهم فإنهم عانوا منهم، وتجرعوا الويلات، وتلقوا منهم صنوف الابتلاءات، وألوان العذاب، ومن هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نبينا محمد ﷺ.

أخرج الإمام مسلم برقم: (٢٧٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ -: ﴿**كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [العلق:٦-١٣]- يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ [العلق:١٤-١٩]، زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ. وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه**﴾ [العلق:١٧]، يَعْنِي قَوْمَهُ.

وأخرج مسلم برقم (١٧٩٠) عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، يَسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً،**

أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ».

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مفتاح دار السعادة": (٢/٨٥١):

فإذا جئتَ إلى النبيِّ ﷺ وتأمَّلتَ سيرته مع قومه، وصبرَه في الله، واحتمالَه ما لم يحتمله نبيٌّ قبله، وتلوُّنَ الأحوال عليه مِنْ سِلْمٍ وحرب، وغنًى وفقر، وخوفٍ وأمن، وإقامةٍ في وطنه وظعْنٍ عنه وتَركِه لله، وقتلِ أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفَّار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل، والسِّحر والكذب، والافتراء عليه والبهتان؛ وهو مع ذلك كلِّه صابرٌ على أمر الله، يدعو إلى الله.

فلم يُؤذ نبيٌّ ما أُوذِي، ولم يَحْتَمِل في الله ما احتَمَله، ولم يُعْط نبيٌّ ما أُعطِيَه، فرفَع الله له ذِكْرَه، وقَرَن اسمه باسمه، وجعله سيِّد النَّاس كلِّهم، وجعله أقربَ الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمَعهم عنده شفاعة.

وكانت له تلك المحنُ والابتلاءُ عينَ كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفًا وفضلًا، وساقه بها إلى أعلى المقامات.

وهذا حالُ ورثته من بعده الأمثل فالأمثل، كلٌّ له نصيبٌ من المحنة، يسوقُه الله به إلى كماله بحسب متابعته له، ومن لا نصيب له من ذلك فحظُّه من الدُّنيا حظٌّ من خُلِق لها وخُلِقت له وجُعِل خَلاقُه ونصيبُه فيها، فهو يأكلُ منها رغَدًا، ويتمتَّعُ فيها حتى يناله نصيبُه من الكتاب، يُمْتَحَنُ أولياءُ الله وهو في دَعَةٍ وخَفْض عَيْش، ويخافون وهو آمِن، ويحزنون وهو في أهله مسرور، له شأنٌ ولهم شأن، وهو في وادٍ وهم في واد، همُّه ما يُقِيمُ به جاهَه، ويَسْلَمُ به مالُه، وتُسْمَعُ به كلمتُه، لَزِم من ذلك ما لَزِم، ورَضِي من رَضِي وسَخِط من سَخِط، وهمُّهم إقامةُ دين الله،

وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدَّعوةُ له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غيره، ورسولُه المطاعَ لا سواه.

فللَّه سبحانه من الحِكَم في ابتلائه أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصرُ عقولُ العالمين عن معرفته، وهل وَصَل من وَصَل إلى الغايات المحمودة والنِّهايات الفاضلة إلا على جِسْر المحنة والابتلاء؟!

كذا المعالي إذا ما رُمْتَ تُدْرِكُها... فاعبُرْ إليها على جِسْرٍ من التَّعبِ. اهـ

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاواه": (٤٨):

الواجب على كل داعية وعالم وقاض ومرشد: الواجب عليهم أن يتقوا الله، وأن لا يقولوا بغير علم، ولا يتكلموا إلا عن بصيرة وعن علم؛ حتى لا يضلوا الناس، وحتى يبلغوا الناس دعوة الله وأحكام الله على بصيرة، وأن يصبروا على الأذى في ذلك.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين"، ص(١٨): فعلى الداعية أن يكون صابرًا على دعوته مستمراً فيها صابرًا على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل، صابراً على ما يعترض دعوته. صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان:٢٣] كان من المنتظر أن يقال: فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان:٢٤]، وفي هذا إشارة إن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله

مما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسبًا. اهـ

السبب السابع عشر: التدرج في إقامة الدين والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ:

أيها القارئ الكريم:

لتعلم أن تجاهل هذا الأمر سبّب تشويهًا للدعوة، وضُربت دعوات في أماكن كثيرة لسبب عدم التدرج في إقامة السنن لاسيما من المبتدئين في طلب العلم، ومن عنده حب للسُّنن وغيرة عليها من صِغار السن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

أخرج البخاري برقم (٤٩٩٣) عن يوسف بن ماهك، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ. اهـ

وأخرج الإمام مسلم برقم: (١٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ مُعَاذًا، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ**

عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "فتح ذي الجلال والإكرام في شرح بلوغ المرام، عند شرحه لهذا الحديث (٣/ ١٥): **ومن فوائد هذا الحديث**:

أن الزكاة فرض، نذكر أولًا: لماذا لم يذكر المؤلف الصوم والحج؟

إن قلت: إنهما لم يفرضا، **فالجواب**: خطأ؛ لأن الصوم فرض في السَّنة الثانية، والحج فرض في السنة التاسعة، وبعث معاذ في السنة العاشرة، إذن ما هو الجواب؟

الجواب أن يقال: إن المسألة مسألة دعوة يدعون إلى الأهم فالأهم، وهو قد بعث إليهم في ربيع الأول بقي على الصوم خمسة شهور، فإذا استقر الإيمان في نفوسهم فإنهم حينئذٍ يؤمرون بالصوم، أي: أن الصوم لم تدع الحاجة إلى الدعوة إليه في ذلك الوقت، وكذلك نقول في الحج؛ لأن الحج باقٍ عليه ثمانية شهور، وهكذا نقول: إن الحكمة في عدم ذكرهما هو أن الوقت لم يحن بعد، فالدعوة إليهما غير مُلحة. اهـ

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاواه": (١/ ٣٢١-٣٢٢):

لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ثم يعمل على علاجها بادئا بالأهم فالأهم، وهذه طريقة أنصح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده، سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم فإنه ﷺ لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه، فلم يزل ﷺ من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين، ثم أمر بالصلاة، ثم ببقية

الشرائع، وهكذا الدعاة بعده: عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفوا أثره، بادئين بالأهم فالأهم ولكن إذا كان المجتمع مسلما ساغ للداعي أن يدعو إلى الأهم وغيره، بل يجب عليه ذلل حسب طاقته؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه. ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم، ولا مانع أيضا من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم، إذا رأى المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جميعا أن يخفق فيهما جميعا. اهـ

وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مقتل الشيخ جميل الرحمن الأفغاني"، ص(١٥): فننصح إخواننا القائمين بالدعوة هنالك في أفغانستان بالرفق واللين وبالدعوة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وبتقديم الأهم فالأهم إن استطاعوا. اهـ

قلت: أمر التدرج راجع إلى أحوال المدعوين كلٌ بحسبه، فإن كان الداعي إلى الله يعلم من حال الناس محبة السنة والرغبة فيها فلا بأس أن يتدرج معهم شيئًا فشيئًا، وإن كان يعلم منهم أنهم جديدو عهد بسنة ودعوة ولم يسبق لهذا البلدة دعوة ينبغي عليه أن يتريث قليلا في إقامة السنن ويجتهد في دعوة الناس إلى سماحة الإسلام ويبين لهم مكارم الأخلاق، فإن آنس من الناس قبولاً فلا بأس ببيان السنن وإقامتها والدعوة إليها.

السبب الثامن عشر: الصــدق مــع اللّه:

وهذا السبب أهمّ ما يتحلى به الداعية إلى الله على الإطلاق أن يكون الداعي إلى الله صادقًا في دعوته همّه: الله والدار الآخرة، وأن يلتمس بعمله وجه الله سبحانه وتعالى.

ومن تأمل في الدعاة المصلحين على الساحة الدعوية كأمثال الإمام النجدي والإمام ابن باز والإمام ابن عثيمين والإمام الألباني والإمام الوادعي، فإن الله نفع بهم نفعًا عظيمًا وانتشرت دعوتهم وذاع صيتهم في الآفاق، وما ذلك إلا لصدقهم مع الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩].

وقال تعالى: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾ [محمد:٢١].

أخرج النسائي في السنن الكبرى برقم (٢٠٩١)، عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ: أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا «فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ» فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا فَقَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**» قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا**» ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ» فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ: «**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَّقَهُ**» ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ**».

والحديث صححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم (٤٧٤).

وأخرج الإمام البخاري برقم: (٢٠٧٩)، ومسلم برقم: (١٥٣٢)، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

قلت: إذا كان الصدق في البيع والشراء من أسباب حلول البركة، فمن باب أولى الدعوة إلى الله، فمن كان صادقًا فيها، وضع الله له القبول في الأرض، وحلّت البركة في دعوته، وهذا مما يشهد له الواقع.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "أدب الطلب": (١/ ٤٢): ولقد تتبعت أحوال كثير من القائمين بالحق المبلغين به كما أمر الله المرشدين إلى الحق فوجدتهم ينالون من حسن الأحدوثة وبعد الصيت وقوة الشهرة وانتشار العلم ونفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها في الناس ما لا يبلغه غيرهم ولا يناله من سواهم. اهـ

قلت: وهذا يدل على ثمرة صدقهم، وإخلاصهم مع الله.

قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع فتاوى ابن باز" (٢٢/ ٢٤-٢٦):

فمن علم الله من قلبه الصدق والإخلاص، وأنه يريد الحق فالله سبحانه يعينه ويسدده، فالواجب على كل داعية وعلى كل عالم أن يخلص لله وأن يكون هدفه الحق، قصده الحق، قصده توجيه الناس إلى الخير، ليس له قصد آخر من رياء أو سمعة أو طلب حمد الناس، أو غير هذا، إنما يقصد بدعوته إلى الله، وتعليم الناس، يقصد وجه الله، يقصد إخراجهم من الظلمات إلى النور، يريد إخراجهم من أسباب الهلاك، إلى أسباب السعادة، يريد إبلاغ رسالة الله ودعوة الله، فمن صدق مع الله وأخلص لله وفقه الله، وأعانه وبارك في جهوده وهدى به الأمة، وجعل له لسان صدق في العالمين بسبب صدقه وإخلاصه، فأوصيكم أيها الأخوة

مرة أخرى، أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالتعاون على البر والتقوى، وأوصيكم بطيب الكلام، والحرص على طيب الكلام، على الأسلوب الحسن، وعلى الرفق في الدعوة وحسن الظن بإخوانكم أهل السنة وعدم نشر ما يشوه سمعتهم، من أغلاط بل عالجوها بالطرق القيمة بالمحادثة بينكم بالاتصال الهاتفي، بالزيارة بالمكاتبة الطيبة حتى تزول الوحشة وحتى يتضح الحق وحتى يزول الخطأ والهدف هو طاعة الله ورسوله، الهدف هو الدعوة إلى سبيل الله، الهدف هو هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قال الله عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقوله سبحانه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، والله المسئول بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يجعلنا وإياكم من دعاة الهدى، ومن أنصار الحق، وأن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه. اهـ

السبب التاسع عشر: إكرام الضيف:

إن من محاسن الإسلام العظيمة الوصية بالضيف، والمبالغة في إكرامه.

أخرج البخاري رقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**..».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٤٨)، عن أبي شريح الخزاعي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «. **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**..».

أخرج مسلم برقم (٢٠٦٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ

أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى، فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٧٤١٩) عن عقبة بن عامر: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ**».

وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢٤٣٤).

وأخرج أبو داود في سننه برقم: (٣٧٥٠): عَنْ أَبِي كَرِيمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، إِنْ شَاءَ اقْتَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**». اهـ

وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١١٤٤).

وأخرج الطحاوي كما في "شرح مشكل الآثار" برقم: (٢٨١٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا لَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ**»، والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٦٤٠).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "شرح مسلم": باب الضيافة ونحوها: (٤٨): قَوْلُهُ ﷺ (**فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ**) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ الِاهْتِمَامُ بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَإِتْحَافُهُ بِمَا يُمْكِنُ مِنْ بِرٍّ وَإِلْطَافٍ، وَأَمَّا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ: فَيُطْعِمُهُ مَا تَيَسَّرَ وَلَا يَزِيدُ عَلَى عَادَتِهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَمَعْرُوفٌ، إِنْ شَاءَ فَعَلَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، قَالُوا: وَقَوْلُهُ ﷺ (وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ حَتَّى يُؤْثِمَهُ) مَعْنَاهُ: لَا يَحِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي الْإِثْمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَغْتَابُهُ لطُولِ مَقَامِهِ أَوْ يُعَرِّضُ لَهُ بِمَا يُؤْذِيهِ أو يظن به

ما لا يَجُوزُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وَهَذَا كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا أَقَامَ بَعْدَ الثَّلَاثِ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ مِنَ الْمُضِيفِ أَمَّا إِذَا اسْتَدْعَاهُ وَطَلَبَ زِيَادَةَ إِقَامَتِهِ أَوْ عَلِمَ أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ إِقَامَتَهُ فَلَا بَأْسَ بِالزِّيَادَةِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا كَانَ لِكَوْنِهِ يُؤْثِمُهُ وَقَدْ زَالَ هَذَا الْمَعْنَى، وَالْحَالَةُ هَذِهِ فَلَوْ شَكَّ فِي حَالِ الْمُضِيفِ، هَلْ تُكْرَهُ الزِّيَادَةُ وَيَلْحَقُهُ بِهَا حَرَجٌ أَمْ لَا تَحِلُّ الزِّيَادَةُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِظَاهِرِ الْحَدِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

الضيافة من مكارم الأخلاق ومعالي الشيم، ومما تؤثر في قلوب الناس، وتأسر أفئدتهم، والنفس مجبولة على حب من أحسنت إليها، فينبغي على من أوكل الله إليه دعوة ألا يغفل عنها، فإنها من أسباب قوة الدعوة وظهورها.

السبب العشرون: تحضير الخطب والمحاضرات واختيار الخطبة المناسبة في الوقت المناسب:

الخطب والمحاضرات إذا اعتنى بها الداعي إلى الله من حيث إعدادها إعدادًا علميًا وحشد فيها الأدلة لها وقع كبير في قلوب السامعين، ومن أسباب هداية المدعو وتأثره.

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي العناية بهذا الجانب.

أخرج الإمام البخاري برقم (٦٨٣٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اليَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلاَنٍ؟ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ المَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا. فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فِي عُقْبِ ذِي الحَجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ عَجَّلْتُ الرَّوَاحَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى أَجِدَ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ جَالِسًا إِلَى رُكْنِ المِنْبَرِ، فَجَلَسْتُ حَوْلَهُ تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلًا، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ: لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلْهَا مُنْذُ اسْتُخْلِفَ، فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ: مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ، فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى المِنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ المُؤَذِّنُونَ قَامَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لاَ أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لاَ يَعْقِلَهَا فَلاَ أُحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: أَنْ لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، أَوْ إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ. أَلاَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أُطْرِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ

إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا، وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ، لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ القَوْمُ، فَقَالاَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالاَ: لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ. فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ

بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الِاخْتِلاَفِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ. وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ: أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ. اهـ

قال العلامة عبد الرحمن السعدي كما في "أسلوب خطبة الجمعة"، ص(١٧): إن التحضير المتقن دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه، وقد تَفْجأ الإنسان مواقع يرتجل فيها ما يلقى به الناس ويصور ما بنفسه.

والواقع أن القدرة على الارتجال تجيء بعد أوقات طويلة من الدربة على التحضير الجيد وعلى تكوين حصيلة علمية مواتية لكل موقف، ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق والذي يقدر إنصاف الناس له واحتفاءهم بما يقول.

- الإيجاز أعون على تثبيت الحقائق، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يراد به من تعاليم.

فإن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضا، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإفاضة، ألا ترى أن الأرض تحتاج إلى قدر محدد من البذور كيما تنبت، فإذا كثر النبات بها تخللها الفلاح باجتثاث الزائد حتى يعطي البقية فرصة النماء والإثمار.

كذلك النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء مغلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها.

وللإطناب الممل أسباب معروفة منها سوء التحضير، فإن الخطيب الذي يلقى الناس بالجزاف من الأحكام والتوجيهات لا يدري بالضبط أين بلغ بقوله، وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا فيحمله ذلك على التكرار والإطالة.. وما يزداد من الجمهور إلا بعدا.

وقد تنشأ الإطالة عن سوء التقدير للوقت والموقف فيظن الخطيب أن بحسبه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً وكرهاً -وهذا خطأ-. اهـ

وقال عبد الغني بن أحمد كما في "خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة" ص(٥٣): ومن الخطأ أن يعتمد الخطيب في هذا على قوة ذاكرته، أو سعة اطلاعه، وحسن أسلوبه، فلا يقوم بإعداد خطبته، والتحضير لها، وربما ترشح لديه الموضوع وهو في طريقه إلى المسجد، أو قبيل الخطبة بدقائق. اهـ

قلت: ومن الأمور التي ينبغي على الداعي إلى الله أن يحرص عليها: أن يختار الخطبة المناسبة في الوقت المناسب.

أخرج البخاري برقم (٩٥٥)، ومسلم برقم: (١٩٦١)، عن البراء، قال: ضَحَّى خَالِي أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ شَاةُ لَحْمٍ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عِنْدِي جَذَعَةً مِنَ الْمَعْزِ، فَقَالَ: «**ضَحِّ بِهَا، وَلَا تَصْلُحُ لِغَيْرِكَ**»، ثُمَّ

قَالَ: «مَنْ ضَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ».

وأخرج البخاري برقم (٥٥٧١)، عن أبي عبيد، مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ: أَنَّهُ شَهِدَ العِيدَ يَوْمَ الأَضْحَى مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَصَلَّى قَبْلَ الخُطْبَةِ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ نَهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ هَذَيْنِ العِيدَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَأَمَّا الآخَرُ فَيَوْمٌ تَأْكُلُونَ مِنْ نُسُكِكُمْ**»

فإن مما يخطئ فيه بعض الدعاة إلى الله عز وجل: أنه إذا وقعت قضية في قرية الداعي إلى الله مما الأصل فيه الستر كاللواط ونحوه، فيقوم الداعي بإعداد الخطبة حول اللواط وحرمته، وهذا من الأخطاء وعدم البصيرة، فإنه يسبب نفورًا للناس وبغضًا للدعوة، والتعامل الشرعي في هذه المسألة أن يعرِّج عليها الداعي إلى الله ويحذر منها في وقت متأخر، فإن هذا عين الحكمة.

السبب الحادي والعشرون: الأخــوَّة:

لقد حث ربنا سبحانه وتعالى على الأُخوَّة، ودعا إلى تأسيس جذورها وتشييد بنائها؛ لأن بها قوة المسلمين وتلاحمهم، وظهورهم على أعدائهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

أخرج البخاري رقم (٤٨١)، ومسلم برقم: (٢٥٨٥) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

قال العلامة عبد الحميد بن باديس في "مجالس التذكير"، ص(٩٨-٩٩): ألا ترى البنيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة، والحجارة الصغيرة والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى، وكل ذلك محتاج اليه في تشييد البنيان، فكذلك بنيان المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم، على اختلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصغير والحقير له مكانه، وعلى كل حال أن يسد الثغرة التي من ناحيته، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء لها عنه، كما لا غناء له عن كل واحد منها فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته، بمقدار المركز الذي هو فيه، والقدرة التي عنده، ولا يجوز لأحد وان كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته، فإنه إذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل، وإذا ابتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير.

ثم ألا ترى أصابعك وفيها القوي وفيها الضعيف، حتى إذا شبكتها صارت كشيء واحد له قوة ومتانة زائدة، وكل أصبع منها يمكن أن يلوى ما دام وحده، فإذا شبكتها عسر ليها وقوي أمرها، فكذلك المؤمنين، باتحادهم وفيهم القوي وفيهم الضعيف تكون لهم قوة عامة زائدة، وكل واحد منهم بمفرده يمكن قهره فأما إذا اتحدوا فإنهم يكونون بقوة اتحادهم في مأمن من كل قهر. اهـ

وأخرج البخاري رقم (٦٠١١)، ومسلم رقم (٢٥٨٦): عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

وأخرج الإمام البخاري برقم: (٦٠٦٦)، ومسلم برقم: (٢٥٦٣): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**».

قلت: مراعاة جانب الأخوة أمر لابد منه، فإن المتأمل في هديه ﷺ وسيرته العطرة يجد أن من الأعمال العظيمة التي حققها ﷺ أن أرسى دعائم الأخوة لما قدم المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار كما دلت على ذلك الأدلة، فالأخوة بها قوة الدعوة وإرغام الشيطان وإغاضة الخصم، وانتشار التوحيد، وتجسيد المحبة في الله، وزرع روح التلاحم والتراحم، قال تعالى: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦]. اهـ

السبب الثاني والعشرون: معرفة الفضل لأهله:

يقول ربنا سبحانه وتعالى، مقررًا لأصل عظيم من أصول مكارم الأخلاق ألا وهو معرفة الفضل لأهله، ومن له سابقية في الفضل وقدم صدق فيه: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [الحديد:١٠].

ولما كان المهاجرون والأنصار لهم الفضل الكبير والجهد المبذول في نصرة الدعوة الإسلامية، أثنى الله عليهم في كتابه فقال سبحانه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٠].

وأمر بمعرفة مكانتهم فقال بعد ذكرهم في سورة الحشر، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر:١٠].

وقد عَظُمت الوصية بهذا الأدب الجم:

أخرج الحاكم برقم: (٤٢١)، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّه**»، وصححه العلامة الألباني كما في "صحيح الترغيب"، برقم: (١٠١).

وأخرج الإمام أبو داود برقم: (٤٨٤٣)، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**».

وحسنه الألباني في تحقيق سنن أبي داود: (٤٨٤٣).

وأخرج أبو داود برقم: (١٦٧٢)، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»، والحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٧).

قلت: إنزال الناس منازلهم ومعرفة الفضل لأهله أمر حثت عليه الشريعة، وحفظته الملة، قال الله عن الملائكة: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾ [الصافات:١٦٤].

وكان رسول الله ﷺ يعرِّف أصحابه وأمته بمنازل الناس ومن ذلك: قوله ﷺ: «**خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ، بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ**».

وقال ﷺ لعمر: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**». كما في البخاري برقم: (٣٦٦١).

فينبغي على الداعي إلى الله أن يعرف الفضل لأهله ممن له سابقية في نصرة الدعوة، وأن يعرف الفضل لشيخه الذي أخذ العلم عنه، فإن ذلك من أسباب

البركة وقوة الدعوة، ونجاحها، وأن ينسب العلم ويعزوه إلى معلمه الذي أخذ عنه العلم.

قال ابن عبد البر كما في جامع مع بيان العلم وفضله: (٢/ ٩٢٢): وإن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله. اهـ

وقال النووي كما في بستان العارفين، ص(٤٧)، ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله. اهـ

السبب الثالث والعشرون: طريقة السلف:

الطريقة السلفية أمان من الضلال وبها السعادة الأبدية، وهي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله على فهم السلف الصالح.

أخرج الإمام أبو داود برقم: (٤٦٠٧)، عن العرباض بن سارية، قال: قال رسول الله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ [البقرة:١٣٧]، وقال الله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء:١١٥]، الآية.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الاستقامة"، (٢٥٤): كَانَ السّلف يعدون كل من خرج عَن الشَّرِيعَة فِي شيء من الدّين من أهل الْأَهْوَاء ويجعلون أهل الْبدع هم أهل الْأَهْوَاء. اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "بدائع الفوائد": (١/ ١٦٥) واصفًا أهل السنة: بل هم إلى الله ورسوله متحيِّزون، وإلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنى توجَّهت ركائبُه ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه، لا تستفزّهم بَدَوات آراء المختلفين، ولا تُزَلزلهم شُبُهات المبطلين، فهم الحُكَّام على أربابِ المقالات، والمميزون لما فيها من الحق والشبهات، يردُّون على كل قائلٍ باطِلَه، ويوافقونه فيما معه من الحق، فهم في الحقِّ سِلْمه وفي الباطل حَرْبُه، لا يميلون مع طائفةٍ على طائفة، ولا يجحدون حقَّها لما قالته من باطل سواه، بل هم ممتثلون قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى

﴿أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

فإذا كان قد نهى عبادَه أن يحملهم بغضهم لأعدائهم على أن لا يعدلوا عليهم، مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله، فكيفَ يسوغُ لمن يدِّعي الإيمانَ أن يحمله بغضُه لطائفةٍ منتسبةٍ إلى الرسول تصيبُ وتخطئ على أن لا يعدلَ فيهم، بل يجرِّد لهم العداوة، وأنواع الأذي، ولعله لا يدرى أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علمًا وعملًا ودعوةً إلى الله على بصيرة، وصَبْرًا من قومهم على الأذى في الله، وإقامةً لحجةِ الله، ومعذرةً لمن خالفهم بالجهل، لا كمن نصبَ مقالةً صادرةً عن آراءِ الرجال، فَدَعَا إليها، وعاقَبَ عليها، وعادَى من خالفها بالعصبية وحمية الجاهلية، والله المستعان. اهـ

قال العلامة العثيمين كما في "شرح العقيدة الواسطية": (١/ ٥٤): فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابه، فإنه سلفي. اهـ

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

من تأمل في الساحة الدعوية يجد أن من أعظم الدعوات الإصلاحية التي حققت ظهورًا وانتشارًا واسعًا، وبلغت سمعتها عنان السماء هي دعوة أهل السنة والجماعة.

وما ذلك إلا ببركة السنة والعمل بها والدعوة إليها، ولما أهملت كثير من الجماعات البدعية الطريقةَ السلفية، وابتدعوا في دعواتهم طرقًا ما أنزل الله من سلطان باءت دعواتهم بالفشل، ولم يجعل الله لهم البركة في دعوتهم والسر ما قدمناه.

السبب الرابع والعشرون: البعد عن مواطن الريبة والمسارعة في دفع ما يُشاع وبيانه:

لقد أمرنا رسول الله ﷺ بترك الشبهات، وأماكن الريبة خوفًا من الوقوع في كلام الناس.

أخرج الإمام البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». اهـ

وأخرج البخاري برقم: (٢٠٣٨)، ومسلم برقم: (٢١٧٥)، عن صفية بنت حيي: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا شَيْئًا**». اهـ

وأخرج الإمام البخاري برقم (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبدالله: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟**» ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا**

خَبِيثَةٌ»، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِاللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

وأخرج أحمد في مسنده برقم (١١٧٣٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ» ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» ، قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ

النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا.

والحديث صححه العلامة الوادعي من "الصحيح المسند" برقم (٣٩٦).

وأخرج المقدسي في "الضياء المختارة" برقم: (٢١٩٩)، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكَ وكل أمرٍ يعتذر منه**».

وصححه الألباني في "السلسلة" برقم: (٣٥٤).

وأخرج ابن سعد في "الطبقات الكبرى" برقم: (٤٢٧٠): عَنْ أُمِّ كَبْشَةَ امْرَأَةٍ مِنْ قُضَاعَةَ أنها استأذنت النبي ﷺ أن تغزو معه: فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَخْرَجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ: (لَا)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ الْجَرِيحَ وَالْمَرِيضَ، أَوْ أَسْقِيَ الْمَرِيضَ، فَقَالَ: «**اجْلِسِي، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَغْزُو بِامْرَأَةٍ**».

وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢٨٨٧).

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" برقم: (١٧٢٣)، عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».

وصححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (٣٠٨).

قلت: مما تقدم لنا من سوق هذه الأدلة أنه حريٌّ بالداعي إلى الله أن يتجنب مواطن الريبة صونًا لدعوته وحفاظًا على سمعته، فيجتنب الرقية على النساء ومجالسة المردان الملاح، وألا يُغرق نفسه بالديون فيعجز عن سدادها، وألاَّ يُداهن

العوام ويجاريهم في معاصيهم، ويبتعد كل البعد عن الأموال، فكم هُدِمت من دعوات بسبب الأموال والسلامة لا يعدلها شيء.

السبب الخامس والعشرون: الإقبال على العبادة:

الإقبال على الله بالعبادة من أعظم أسباب قوة الدعوة وظهورها، ومن الأسس العظيمة التي تقوم عليها الدعوة، فمن أقبل على ربه، أقبل الله بقلوب العباد عليه.

أخرج البخاري برقم: (٣٢٠٩)، ومسلم برقم: (٢٦٣٧)، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**».

قال الله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق:٣٩].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل:١-٢].

فينبغي على الداعي إلى الله ألا يغفل عن العبادة، ابتداءً بالفرائض وانتهاءً بالنوافل.

أخرج الإمام البخاري برقم: (٦٥٠٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ**

بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

وأخرج مسلم برقم: (٢٩٤٨)، عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: **«العبادة في الهرج كهجرة إليّ»**.

والمراد **بالهرج**: الفتنة واختلاط أمور الناس.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" برقم: (٧٩٢٦) عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا»**، والحديث صححه الإمام الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند": برقم: (١١٢٧).

وأخرج الإمام أبو داود في "سننه" برقم (١٣١٩)، عن حذيفة، قال: عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: **«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»**.

والحديث حسنه الألباني، كما في "صحيح سنن أبي داود": (١١٩٢).

أخي القارئ الكريم:

هذا ما تيسر لي جمعه مما أدلى به الجنان، وقيده الخاطر وخطَّه اليراع من أسباب قوة الدعوة.

وأما عوامل هدم الدعوة وفشلها فهي كثيرة جدًا وما لم أُزجي ذكره في الباب الذي سيأتي فقد سبقت الإشارة إليه في أسباب قوة الدعوة، فلا حاجة لإعادته في عوامل الهدم والفشل خشية الإطالة، وما ذكرتهُ قبل ففيه الكفاية.

والله الموفق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الفصل الثالث: عوامل هدمها وفشلها

العامل الأول من عوامل هدمها وفشلها: التعـــالم:

وهو ضعف ظاهر وخلل في العقيدة وداء قتال، وعدوى مهلكة، وزغل في الدعوة، من اتصف به أهلك نفسه، وعرَّض دعوته للفشل والهدم، وقد ذمّ النبي ﷺ هذا الصنف كما في البخاري برقم: (٥٢١٩)، ومسلم برقم: (٢١٣٠)، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»، وهو من القول على الله بلا علم.

قال الإمام البغدادي شاكيًا من هذا الصنف كما في "الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع" (١/ ٧٥):

وَقَدْ رَأَيْتُ خَلْقًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْحَدِيثِ، وَيَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَصِّصِينَ بِسَمَاعِهِ وَنَقْلِهِ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِمَّا يَدَّعُونَ، وَأَقَلُّهُمْ مَعْرِفَةً بِمَا إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ، يَرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا كَتَبَ عَدَدًا قَلِيلًا مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَاشْتَغَلَ بِالسَّمَاعِ بُرْهَةً يَسِيرَةً مِنَ الدَّهْرِ، أَنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَمَّا يُجْهِدْ نَفْسَهُ وَيُتْعِبْهَا فِي طِلَابِهِ، وَلَا لَحِقَتْهُ مَشَقَّةُ الْحِفْظِ لِصُنُوفِهِ وَأَبْوَابِهِ.

١ - كَمَا نا أَبُو حَازِمٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَبْدَوِيُّ الْحَافِظُ إِمْلَاءً بِنَيْسَابُورَ، أنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ، قَالَ: " حَضَرْتُ الْمَأْمُونَ بِالْمِصِّيصَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِيَدِهِ مَحْبَرَةٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَاحِبُ حَدِيثٍ مُنْقَطِعٌ بِهِ. قَالَ: فَوَقَفَ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ لَهُ: إِيشِ تَحْفَظُ فِي بَابِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَسَكَتَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: نا ابْنُ عُلَيَّةَ،

عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ، عَنْ فُلَانٍ، وَحَدَّثَنَا حَجَّاجٌ الْأَعْوَرُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ كَذَا حَتَّى عَدَّدَ لَهُ كَذَا حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: أيشِ تَحْفَظُ فِي بَابِ كَذَا؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَسَرَدَ فِيهِ كَذَا حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: أَحَدُهُمْ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَقُولُ: أَنَا صَاحِبُ حَدِيثٍ، أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ.

٢ - نا أَبُو طَالِبٍ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الطِّيبُ الدَّسْكَرِيُّ لَفْظًا بِحُلْوَانَ، أنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُقْرِئِ بِأَصْبَهَانَ، نا غَسَّانُ بْنُ رِضْوَانَ بْنِ شُعَيْبٍ أَبُو الْحَسَنِ الْبَزَّازُ، بِبَغْدَادَ، نا أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّسَائِيُّ، قَالَ: " سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ، يُقَالُ: إِنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ لَهُ: عِنْدَهُ مِائَتَا أَلْفِ حَدِيثٍ، يُقَالُ: إِنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: لَهُ: ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ كَذَا، يُرَوِّحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَأَوْمَأَ غَسَّانُ بِيَدِهِ كَذَا وَكَذَا، يُقَلِّبُهَا).

٣ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ، نا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّهَاوَنْدِيُّ، بِالْبَصْرَةِ، نا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلَّادٍ، نا الْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ التُّسْتَرِيُّ، نا أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَكْتُبْ عِشْرِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ إِمْلَاءً، لَمْ يُعَدَّ صَاحِبَ حَدِيثٍ» وَهُمْ مَعَ قِلَّةِ كُتُبِهِمْ لَهُ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ كِبْرًا، وَأَشَدُّ الْخَلْقِ تِيهًا وَعُجْبًا، لَا يُرَاعُونَ لِشَيْخٍ حُرْمَةً، وَلَا يُوجِبُونَ لِطَالِبٍ ذِمَّةً، يَخْرِقُونَ بِالرَّاوِينَ، وَيُعَنِّفُونَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ، خِلَافَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعِلْمُ الَّذِي سَمِعُوهُ، وَضِدَّ الْوَاجِبِ مِمَّا يَلْزَمُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ. اهـ

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الاعتصام: (٢/ ٨٣):

أَمَّا قِلَّةُ الْعِلْمِ وَظُهُورُ الْجَهْلِ فَبِسَبَبِ التَّفَقُّهِ لِلدُّنْيَا، وَهَذَا إِخْبَارٌ بِمُقْدِمَةٍ أَنْتَجَتْهَا الْفُتْيَا بِغَيْرِ عِلْمٍ. حَسْبَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ**» إِلَى آخِرِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ قَائِدٍ يَقُودُهُمْ فِي الدِّينِ بِجَرَائِمِهِمْ، وَإِلَّا؛ وَقَعَ الْهَرَجُ وَفَسَدَ النِّظَامُ، فَيُضْطَرُّونَ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى مَنِ انْتَصَبَ لَهُمْ مَنْصِبَ الْهِدَايَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ عَالِمًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى رَأْيِهِ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّ الْفَرْضَ أَنَّهُ جَاهِلٌ، فَيُضِلُّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ كَمَا أَنَّهُ ضَالٌّ عَنْهُ، وَهَذَا عَيْنُ الِابْتِدَاعِ، لِأَنَّهُ التَّشْرِيعُ بِغَيْرِ أَصْلٍ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ. وَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُؤْتَى النَّاسُ قَطُّ مِنْ قِبَلِ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا يُؤْتُونَ مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ عُلَمَاؤُهُمْ أَفْتَى مَنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ فَيُؤْتَى النَّاسُ مَنْ قِبَلِهِ. اهـ

وقال الإمام مالك كما في "حلية الأولياء": (٣١٦): مَا أَفْتَيْتُ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ.

وقال سفيان الثوري كما في "الحلية لأبي نعيم": (٦/ ٣٦٢): (مَنْ حَدَّثَ قَبْلَ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَيْهِ ذُلَّ).

وقال الخطيب البغدادي كما في "المجموع شرح المهذب": (١/ ٧٣): يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَصَفَّحَ أَحْوَالَ الْمُفْتِينَ فَمَنْ صَلُحَ لِلْفُتْيَا أَقَرَّهُ وَمَنْ لا يصلح منعه ونهاه ان يعود وتواعده بِالْعُقُوبَةِ إِنْ عَادَ. اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى": (٢٢/ ٢٤٠): وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يُعِينَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ أَدْخَلَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ. اهـ

وقال العلامة ابن بدران رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في سؤالات علامة الكويت الدحيان لعلامة الشام ابن بدران، ص(١٦٧): وإني لأعجب ممن ينظر إلى نفسه، وإلى مقدار ما أوتيه من علم ثم يقيس نفسه، ويدعي أن أحدًا لا يؤتى أكثر مما أوتيه من العلم ثم يحكم عليهم بما شاء، وبما شاءت له نفسه، وهو لا يعلم مقدار ما أوتيه أهل بلده من العلم فضلًا عن علماء الأقطار، ولرب كنز في أساس جدار.

العامل الثاني: من عوامل هدمها وفشلها: الخلاف

من تأمل في الدعوات الإصلاحية في العالم يجد أن من أعظم ما يهدمها المناكفات والخلافات فيها، فالخلاف شر، وهو مادة الهزيمة، ولخطره نهى الله عز وجل عنه، فإنه باب الفشل ويشمت العدو، ويُفرح الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

أخرج الإمام أحمد في مسنده: (١٨٤٤٩) عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «.. **وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**».

صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٦٦٧).

ولخطر الخلاف نهانا رسول الله ﷺ ألا يختلف المأموم على إمامه، وهي إمامة صغرى، ففي غيرها من باب أولى.

أخرج البخاري ومسلم برقم (٧٢٢)، ومسلم برقم: (٤١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ**».

وأخرج البخاري رقم (٢٤١٠)، عن عبد الله بن مسعود، قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خِلاَفَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: «**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ**»، قَالَ شُعْبَةُ: أَظُنُّهُ قَالَ: «**لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**».

وأخرج البخاري برقم: (٣٠٣٨)، ومسلم برقم: (١٧٣٣): عن أبي بردة، قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَنِ قَالَ: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**».

قال شيخ الإسلام كما في "الفتاوى الكبرى": (٢/٢٥٢):

وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتْبَعَ إمَامَهُ فِيمَا يَسُوغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ، فَإِذَا قَنَتَ قَنَتَ مَعَهُ، وَإِنْ تَرَكَ الْقُنُوتَ لَمْ يَقْنُتْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**» وَقَالَ: «**لَا تَخْتَلِفُوا عَلَى أَئِمَّتِكُمْ**»، وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ**»، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِمَامَ لَوْ قَرَأَ فِي الْأَخِيرَتَيْنِ بِسُورَةٍ مَعَ الْفَاتِحَةِ وَطَوَّلَهُمَا عَلَى الْأُولَيَيْنِ: لَوَجَبَتْ مُتَابَعَتُهُ فِي ذَلِكَ. فَأَمَّا مُسَابَقَةُ الْإِمَامِ فَإِنَّهَا لَا تَجُوزُ.

فَإِذَا قَنَتَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يُسَابِقَهُ: فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَابَعَتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى عُثْمَانَ التَّرْبِيعَ بِمِنًى، ثُمَّ إنَّهُ صَلَّى خَلْفَهُ أَرْبَعًا، فَقِيلَ لَهُ: فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: الْخِلَافُ شَرٌّ. وَكَذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ وَقْتِ الرَّمْيِ، فَأَخْبَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: افْعَلْ كَمَا يَفْعَلُ إمَامُك، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

قلت: ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل أن يتجنبوا الخلافات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فإن بها زوال الدول وذهاب الدعوات، وتوسيع الخروق والعداوات، وأن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى العلماء، وأن يعطى المسائل المختلف فيها قدرها.

قال محمد بن علي بن عمر التوزري كما في "تاريخ الأندلس" لابن الكردبوس (٧٤): إن المسلمين بالأندلس لم يقصدهم عدو إلا هُزِم، وإنما خذلهم التحاسد وفرط الخلاف، والتباغض وقلة الإنصاف. اهـ

وقال أحمد المقري التلمساني: كما في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص(٥٠٨): ومن استقرأ التواريخ المنصوصة، علم أن النصارى - دمرهم الله تعالى - لم يدركوا في المسلمين ثاراً، ولم يرحضوا عن أنفسهم عاراً، ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف، وتضريبهم بالمكر والخديعة بين ملوك الجزيرة، وتحريشهم بالكيد والخلابة بين حماتها في الفتن المبيرة، ومهما كانت الكلمة مؤتلفة، والآراء لا مفترقة ولا مختلفة، والعلماء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدلفة، فالحرب إذ ذاك سجال، ولله تعالى في إقامة الجهاد في سبيله رجال، وللممانعة في غرض المدافعة ميدان رحب ومجال، وروية وارتجال. اهـ

قال شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري كما في منشور "نصيحة لإخواني أهل السنة" بتاريخ (١٠/ شعبان/ ١٤٤٤هـ) مسجد إبراهيم - شحوح - سيئون:

إن من أشد ما يضرب الدعوة ويضرها: التناكف والتحسس بين أهل السنة.

وقال الشيخ العلامة سليم بن عيد الهلالي -حفظه الله-:

فإننا جربنا الفرقة، وما جنت علينا الفرقة إلا بالفشل والخزي والندامة، والعار وشماتة الأعداء بنا. [كما في محاضرة مفرغة بتاريخ (٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ، وكانت بدار الحديث بكغامبوني بتنزانيا].

العامل الثالث من عوامل هدمها وفشلها: حب الزعامة والرئاسة والظهور:

حب الرئاسة دليل على دخن في النية، ومرض الطوية، ولعمري أن هذا من أعظم الأسباب التي تُهدم بها الدعوات، وقد عظم خوف السلف من هذا الداء القتال، حتى كانوا يفرون من الرئاسات وما يوصل إليها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

قال شعيب بن حرب كما في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع": (١/ ٣٢١): (مَنْ طَلَبَ الرِّئَاسَةَ نَاطَحَتْهُ الْكِبَاشُ). اهـ

وقال سفيان الثوري كما في "حلية الأولياء": (٧/ ٢٣): (إِيَّاكَ وَالشُّهْرَةَ ، فَمَا أَتَيْتُ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ نَهَانِي عَنِ الشُّهْرَةِ). اهـ

وقال الإمام أحمد بن حنبل كما في "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي: (٣٧٧): أريدُ النزول بمكة، أُلقي نفسي في شعبٍ من تلك الشعاب حتى لا أُعرَف، بليت بالشهرة حتى أني أتمنى الموت صباحًا ومساءً.

وقال مكحول رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "سير أعلام النبلاء": (٥/ ٤٧٦): لأن أقدم فتضرب عنقي، أحب إلي من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء، أحب إلي من أن ألي بيت المال. اهـ

وقال عقبة بن علقمة البيروتي كما في "سير أعلام النبلاء": (٦/ ٥٤٧): أرادوا الأوزاعي على القضاء فامتنع، وأبى فتركوه.

وقال القاضي أبو عبد الله الصيمري: في ترجمة أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي، كما في "سير أعلام النبلاء": (١٣/٣٧): (.. وقد دعي إلى القضاء مرارًا، فامتنع رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

وقال الفضيل بن عياض كما في "الزهد الكبير" للبيهقي: (ص٩٩) رقم: (١٤٨): قال الفضيل بن عياض: «**إِنْ قَدَرْتَ أَنْ لَا تُعْرَفَ فَافْعَلْ وَمَا عَلَيْكَ، أَنْ لَا تُعْرَفَ وَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا يُثْنَى عَلَيْكَ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مَذْمُومًا عِنْدَ النَّاسِ إِذَا كُنْتَ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (ترتيب المدارك وتقريب المسالك): ينبغي للرجل إذا خول علماً وصار رأساً يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه ويمتهن نفسه إذا خلا بها ولا يفرح بالرئاسة، فإذا اضطجع في قبره ووسد التراب رأسه ساءه ذلك كله. اهـ

وقال الإمام الألباني رحمه الله كما في (التوسل) (٩١): من الأخلاق الأساسية التي يجب أن يتصف بها الداعية المسلم: التواضع والبعد عن حب الظهور والتفاخر والادعاء، فإن هذه أدواء قاتلة، تجرد الساعي إليها والحريص عليها من أهلية الدعوة، وتفقده سلاحًا ماضيًا للنصر على أعدائها، وتجعل عمله هباءً منثورًا، والعياذ بالله. اهـ

وقال رحمه الله كما في (السلسلة الضعيفة)، تحت حديث (٦٣٨٣):

حب الظهور يقطع الظهور.

العامل الرابع من عوامل هدمها وفشلها: التصدر قبل التأهل:

لقد أثنى الله سبحانه على الراسخين في العلم لرسوخ قدمهم ولطول باعهم وسعة اطلاعهم.

قال سبحانه: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧].

وقال سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٦٢].

فالمتصدر قاطع للطريق، وتزبب قبل أن يتحصرم، وفوّت نفسه خيرًا بتصدره وطار ولم يريش بعد.

فينبغي على من أراد أن يتصدر للدعوة: أن يكون راسخًا عالمًا بالأصول التي سار عليها السلف، مفرقًا بين ما يصلح مما لا يصلح، وبين المصالح والمفاسد، وبين السنة والبدعة، إذا تأملت غالب الخلافات الدعوية فإن منشؤها من هذا الضرب وآفة ذلك: التصدر قبل التأهل، وأنه أنزل نفسه منزلة لا تليق به، ويريد من الناس الالتفاف حوله وهو لم يتزبّب بعد، وإلى الله المشتكى.

ومن تأمل في منشأ التصدر فإنه راجع إلى الإعجاب بالنفس، فإنه أم المهلكات ومنبع الشقاوات، وشر الآفات، أخرج البيهقي في "شعب الإيمان": (٦٨٦٨)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ الْعُجْبَ الْعُجْبَ**»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٣).

وأخرج البيهقي في "شعب الإيمان" برقم: (٦٨٦٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتِ: فَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": (١٨٠٢).

قال الإمام مالك كما في "صفة الصفوة" (٢/ ٥٠٣): قال ما أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني هل يراني موضعًا؛ لذلك سألت ربيعة وسألت

يحيى بن سعيد؟ فأمراني بذلك، فقلت: يا أبا عبد الله: فلو نهاك، قال: كنت انتهي لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه. اهـ

وقال ابن جماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تذكرة السامع: (٩٥) في آداب العالم في دروسه: الثاني عشر: أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلًا له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه، سواء اشترطه الواقف أو لم يشرطه؛ فإن ذلك لعب في الدين، وازدراء بين الناس، قال النبي ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»، [رواه البخاري (٢٥١٩)، ومسلم: (٢١٣٠) عن أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا].

وقال سفيان الثوري كما في "الحلية لأبي نعيم": (٦/ ٣٦٢): (مَنْ حَدَّثَ قَبْلَ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَيْهِ ذُلَّ).

وقال ابن الجوزي كما في "تعظيم الفتيا"، ص(١٣٠): فصل: فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، ويعرض على طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدر وهو صغير فاته علم كثير.

وقال إبراهيم بن أدهم كما في "البداية والنهاية": (١/ ٢٠٨): كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره.

وقال العلامة بكر أبو زيد في كتاب "التعالم" (ص٧):

فكم رأينا نزالا في حلائب العلم من رائم للبروز قبل أن ينضج وتزبب قبل أن يتحصرم. اهـ

وقال الألباني في هذا الصنف كما في كتابه "صحيح الترغيب والترهيب": (١/ ١١):

طار ولما يريش بعد.

وقال العلامة العثيمين كما في "كتاب العلم": (٦١): مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلا للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلا على أمور:

الأمر الأول : إعجابه بنفسه حيث تصدر فهو يرى نفسه عَلَم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور؛ لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ إن الناس إذا رأوه متصدرًا أو ردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم؛ لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي ويجيب على كل ما سُئِلَ ويخاطر بدينه وبقوله على الله – عز وجل – بلا علم.

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلا على أنه ليس بعالم.

ومنها: سوء الظن:

فيجب على طالب العلم الحذر من أن يظن بغيره ظنًّا سيئًا مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء، لم يُلق الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليعرف أنه طالب فاهم، وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة، إن كانت كثيرة قالوا: مُرَائ، وإذا كانت قليلة قالوا: إن الله غني عن صدقة هذا كما قال الله عنهم: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة:٧٩]. اهـ

ومما يدخل في هذا الباب: تسيير الدعوة من قبل العوام، ومن ليس بأهل، فالدعوة يقودها أهل العلم.

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تحفة المجيب": (٢٨٨): وقيادة الدعوة إنما تكون بأيدي العلماء. اهـ

العامل الخامس من عوامل هدمها وفشلها: الانشغال بالدنيا والحرص عليها.

إذا انشغل الداعي إلى الله بالدنيا عن الدعوة والقيام بشئونها، فاته خير كثير وضيَّع نفسه، فإنها تسحر العقول وحبها رأس كل خطيئة ومفسد للدين كما أخبر بذلك خير الورى ﷺ.

وقد حذرنا منها ربنا سبحانه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**﴾ [فاطر:٥].

ومن تأمل في هديه ﷺ وتعامله مع هذه الدنيا، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في زهده فيها وتحقيره وذمه لها، أخرج الإمام مسلم: (٢٨٥٨)، عن المستورد بن شداد، قال: قال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٢٩٥٧): عن جابر قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

وأخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٣٧٦) عن كعب بن مالك، قال: قال ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ**

لِدِينِهِ». الحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" برقم: (١٠٩٤).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٢٣٩): عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ**»، الحديث صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١).

وأخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٠٣٦)، عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ المَاءَ**»، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: (٦٦٨).

وأخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٣٧٧): عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٤٣٨).

وأخرج ابن أبي عاصم في "الزهد": (٧٨/ ١٦١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا، فَأَضِرُّوا بِالْفَانِي لِلْبَاقِي**»، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "السلسلة الصحيحة" برقم (٣٢٨٧).

قال سفيان الثوري لعلي بن الحسين السلمي كما في "حلية الأولياء" (٧/ ٤٧): إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا. اهـ

العامل السادس من عوامل هدمها وفشلها: عدم التدرج في إقامة الدين وإنكار المنكر:

من تأمل في حال الأنبياء مع أقوامهم يجد أنهم بدأوا أقوامهم بالتدرج وتقديم التوحيد الذي به سعادة الدارين وبدأوهم بالأهم فالأهم.

ومن معاني قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران:٧٩].

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري تحت باب العلم قبل القول والعمل: حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ.

ومن الأحاديث التي تعتبر أصلًا ومنهجًا يسير عليه الداعي إلى الله في تدرجه في باب الدعوة وتقديم الأولويات، ما أخرجه البخاري: (١٤٥٨)، ومسلم برقم: (١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

وقال العز بن عبد السلام كما في "قواعد الأحكام": (١/ ٤-٥): وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْدِيمَ الْأَصْلَحِ فَالْأَصْلَحِ وَدَرْءَ الْأَفْسَدِ فَالْأَفْسَدِ مَرْكُوزٌ فِي طَبَائِعِ الْعِبَادِ نَظَرًا لَهُمْ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، فَلَوْ خَيَّرْت الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ بَيْنَ اللَّذِيذِ وَالْأَلَذِّ لَاخْتَارَ الْأَلَذَّ، وَلَوْ خُيِّرَ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْأَحْسَنِ لَاخْتَارَ الْأَحْسَنَ، وَلَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَلْسٍ وَدِرْهَمٍ لَاخْتَارَ الدِّرْهَمَ، وَلَوْ خُيِّرَ بَيْنَ دِرْهَمٍ وَدِينَارٍ لَاخْتَارَ الدِّينَارَ. لَا يُقَدِّمُ الصَّالِحَ عَلَى الْأَصْلَحِ إلَّا جَاهِلٌ بِفَضْلِ الْأَصْلَحِ، أَوْ شَقِيٌّ مُتَجَاهِلٌ لَا يَنْظُرُ إلَى مَا بَيْنَ الْمُرْتَبَتَيْنِ مِنْ التَّفَاوُتِ. اهـ

وقال العلامة ابن باز كما في "مجموع فتاواه": (١/ ٣٢١-٣٢٢): لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ثم يعمل على علاجها بادئا بالأهم فالأهم، وهذه طريقة أنصح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده، سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم فإنه ﷺ لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه، فلم يزل ﷺ من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين، ثم أمر بالصلاة، ثم ببقية الشرائع، وهكذا الدعاة بعده: عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفوا أثره، بادئين بالأهم فالأهم ولكن إذا كان المجتمع مسلما ساغ للداعي أن يدعو إلى الأهم وغيره، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه. ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم، ولا مانع أيضا من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم، إذا رأى المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جميعا أن يخفق فيهما جميعًا.

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إجابة السائل"، ص(٢١): أهل السنة ينكرون كل منكر يوجد على ظهر الأرض، ويقدمون الأهم فالأهم.

قلت: التدرج في إقامة الدين وإنكار المنكر أمر رغبت فيه الشريعة، وذلك بالنظر في المصالح والمفاسد، ومراعاة حال المدعوين من الاستجابة وعدمها وتوفر الشروط التي شرطها أهل العلم في إنكار المنكر.

العامل السابع من عوامل هدمها وفشلها: التعجل في الخروج الدعوي:

إن المتأمل والناظر في أحوال الدعوة في كثير من البلدان يجد أن منشأ ضرب الدعوات فيها هو التعجل في الخروج الدعوي لمن لم ينضج بعد وهذا الصنف سبب لضرب الدعوات، فمن لم يتمكن من العلم ويعرف الأصول التي سار عليها السلف.

فإنه يكثر خطؤه ويقل توفيقه، ويكون سببًا في فشل الدعوة وهدمها وإلى الله المشتكى من أنصاف المتعلمين.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في صيد الخاطر، ص(١٢٧): أفضلُ الأشياء التَّزيُّد من العلم: فإنه من اقتصر على ما يعلمه، فظنه كافيًا؛ استبد برأيه.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى": (٥/ ١١٨): إنما يفسد الناس أربعة: وذكر منهم: نصف فقيه. اهـ

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "البدر الطالع" (١/ ٤٧٣): ترجمة على بن قاسم حنش.

وَمن محَاسِن كَلَامه الذي سمعته مِنْهُ النَّاس على طَبَقَات ثَلَاث فالطبقة الْعَالِيَة الْعلمَاء الأكابر وهم يعْرفُونَ الْحق وَالْبَاطِل وإن اخْتلفُوا لم ينشأ عَن اخْتلَافهمْ الْفِتَن لعلمهم بِمَا عِنْد بَعضهم بَعْضًا والطبقة السافلة عَامَّة على الْفطْرَة لَا ينفرون عَن الْحق وهم أَتبَاع من يقتدون بِهِ إن كَانَ محقاً كَانُوا مثله وإن كَانَ مُبْطلًا كَانُوا كَذَلِك والطبقة المتوسطة هي منشأ الشَّرّ وَاصل الْفِتَن الناشئة في الدَّين وهم الَّذين لم يمعنوا في الْعلم حَتَّى يرتقوا إلى رُتْبَة الطَّبَقَة الأولى وَلَا تَرَكُوهُ حَتَّى يَكُونُوا من أهل الطَّبَقَة السافلة فإنهم إذا رَأَوْا أحداً من أهل الطَّبَقَة الْعليا يَقُول مَالا يعرفونه مِمَّا يُخَالف عقائدهم الَّتِي أوقعهم فِيهَا الْقُصُور فوقوا اليه سِهَام الترقيع ونسبوه إلى

كل قَول شنيع وغيّروا فطر أهل الطَّبَقَة السُّفْلى عَن قبُول الْحق بتمويهات بَاطِلَة فَعِنْدَ ذَلِك تقوم الْفِتَن الدِّينِيَّة على سَاق. اهـ

وهذا الصنف إذا رأى من الناس إقبالًا عليه اكتفى بما عنده من العلم ويرى أنه لا حاجة إلى أحدٍ وحينها يتسلط عليه الشيطان، ويحظى من الناس احترامًا ومشيخة وما علم أن هذا من الاستدراج له.

قال ابن حبيش اللخمي كما في "نفح الطيب" للتلمساني: (٤/ ٣١٢): (ومن أعظم التوبيخ، تشييخ من لا يصلح للتشييخ). اهـ

وقال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في حلية طالب العلم، ص(١٩٨):

احذر أن تكون أبا شبر.

فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول، تكبر ومن دخل في الشبر الثاني، تواضع ومن دخل في الشبر الثالث، علم أنه ما يعلم. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في (الترجمة)، ص(٢٠١): ولكن بعض طلبة العلم رضي بما عنده من العلم وأصبح يجادل به من يخالفه وهذا سبب من أسباب الفرقة والاختلاف. اهـ

قلت: من تأمل في هذا العامل فإنه راجع إلى قلة الخبرة في جانب الدعوة وضعف البصيرة.

العامل الثامن من عوامل هدمها وفشلها: الحسد وما ينتج عنه من الانتقام للنفس والنصرة لها:

الحسد خلق ذميم، ومرض فتاك، حذر منه ربنا سبحانه، ونبينا ﷺ في سنته، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق:٥].

وأخرج البخاري برقم: (٦٠٦٥)، ومسلم برقم: (٢٥٥٨): عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا**».

وأخرج أحمد في مسنده برقم: (١٤١٢) عن الزبير بن العوام: قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١/ ٤)، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير: (٧١٥٨)قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»، وصححه الألباني في السلسلة برقم (٧/ ٣٥١١)، قال شيخ الإسلام كما في أمراض القلوب: (١/ ٢١): الْحَسَد مرض من أمراض النَّفس وَهُوَ مرض غَالب فَلَا يخلص مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيل من النَّاس وَلِهَذَا يُقَال مَا خلا جَسَد من حسد لَكِن اللَّئِيم يبديه والكريم يخفيه. اهـ

مما ينبغي أن يحذره الدعاة على أنفسهم الحسد، وأن من نفع الله به وأقبل الله بقلوب العباد عليه يعان وينصر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء- ومحض امتنانه-.

ألا قل لمن كان لي حاسدًا ... أتدري علىٰ من أسأت الأدب

أسـأت علىٰ الله في حكمـه ... لأنك لم تـرضَ لي ما وهـب

كذلك من البوائق العظيمة والدواهي الجسيمة التي بها يفشل الداعي، ويهدم بها دعوته: الانتقام للنفس، فما إن يحصل بين الداعي إلى الله وأخيه أو بينه وبين

أحد العامة خلاف إذا به ينتصر لنفسه وينتقم لها بإعداد الخطب والمحاضرات وإلقاءها في المجالس انتصارًا لنفسه كقوله: (ما بال أقوام)، وبعض الناس، وهلم جرا، فيوسِّع الخرق ويشعل نار الفتنة بينه وبين محبيه.

فينبغي على الداعي إلى الله أن يترفع عن الحظوظ الشخصية ويؤثر مصلحة الدعوة وأن يغض الطرف عما يحصل من الخلاف من أجل الدنيا ولا يغضب ولا ينتقم إلا إذا انتهكت محارم الله.

ومن تأمل في هديه ﷺ، فكان لا ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله.

أخرج مسلم برقم (١٧٩٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ**»، قَالَ: «**فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

وأخرج البخاري برقم: (٦٨٥٣)، ومسلم برقم: (٢٣٢٨): عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ**».

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تلبيس إبليس"، ص(١٠٥): ومن تلبيس إبليس عَلَى أصحاب الحديث: قدح بعضهم فِي بعض طلبا للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عَن الشرع وَاللَّه أعلم بالمقاصد. اهـ

وأخرج الخطيب البغدادي كما في "تاريخ بغداد"، ص(١/ ٩٤) في ترجمة سعيد بن سليمان المديني المساحقي القاضي الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه:

قال نوفل بن ميمون: جاء سعيد بن سليمان إلى عبد الله بن محمد بن عمران شاهدًا فرد شهادته، فلما ولي سعيد القضاء جاءه عبد الله بن محمد بن عمران شاهدًا فأخذ شهادته، فنظر فيها ساعة ثم رفع رأسه، فقال: المؤمن لا يشفى غيظه، أوقع شهادته يا ابن دينار، فأوقعها. اهـ

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس كما في محاضرة بعنوان: "ذم الإرجاء":

والله وبالله وتالله، لن يفلح من جعل دين الله وشرعه وسنة نبيه محمد ﷺ بابًا لتصفية الحسابات الشخصية والتشفي ممن نقده أو وضح باطله. اهـ

العامل التاسع من عوامل هدمها وفشلها: مخالفة بعض الدعاة أقوالهم لأفعالهم:

اعلم أيها القارئ الكريم: أن الناس إذا رأوا الداعي يخالف أقواله لأفعاله، فإنهم ينفرون منه ويزهدون فيما عنده من الخير، قال الله تعالى ذامًا لهذا الصنف: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود:٨٨]، وقد توعد النبي ﷺ هذا الضرب من الدعاة بالوعيد والعذاب، كما في البخاري برقم:

(٣٢٦٧)، ومسلم برقم: (٢٩٨٩) عن أسامة بن زيد، قال: قال النبي ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "زغل العلم"، ص(٥٠): (فإذا رأيت الواعظ راغبا في الدنيا قليل الدين، فاعلم أن وعظه لا يتجاوز الأسماع، وكم من واعظ مفوه قد أبكى وأثر في الحاضرين تلك الساعة، ثم قاموا كما قعدوا). اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "الفوائد" ص(٦١): عُلَمَاء السوء جَلَسُوا على بَاب الْجنَّة يدعونَ إِلَيْهَا النَّاس بأقوالهم ويدعونهم إِلَى النَّار بأفعالهم، فَكلما قَالَت أَقْوَالهم للنَّاس هلمّوا قَالَت أفعالهم لَا تسمعوا مِنْهُم، فَلَو كَانَ مَا دعوا إِلَيْهِ حَقًا كَانُوا أول المستجيبين لَهُ، فهم فِي الصُّورَة أدلاء وَفِي الْحَقِيقَة قطّاع الطّرق. اهـ

العامل العاشر من عوامل هدمها وفشلها: النميمة:

النميمة آفة مهلكة وداء عضال ولخطرها يعذّب الإنسان في قبره ويحرمها من دخول الجنة، والنمام يفسد في الساعة ما لا يفعله الساحر في سنة، وقد حذّر منها ربنا في كتابه بقوله: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم:١١]،

وأخرج الإمام مسلم برقم: (١٠٥)، عن حذيفة، قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة نمام**».

قال النووي في "شرح مسلم" عند هذا الحديث، قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ، وَقِيلَ لَهُ: فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كذا فعليه، ستة أمور:

الأول: أن لا يُصَدِّقَهُ؛ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ عن ذلك.

السادس: أن لا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ، فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا فَيَصِيرُ بِهِ نَمَّامًا وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ. اهـ

إن مما يبعث في النفس الأسى ويجدد الأشجان في القلوب من واقع كثير من الدعاة والأحبة من البعد والتهاجر والصراعات، وإذا تأملت في منشأ كثير منها تجد أن النميمة لها قسط كبير ودور عظيم في توسعة الخرق!

فاتق الله أيها المسلم: فلا تنقل عن أخيك ما يوسع الهوة، ويوجع القلب، فالنميمة كبيرة من كبائر الذنوب، فاحذر أن تكون ناقلًا للحديث لقصد الإفساد.

العامل الحادي عشر من عوامل هدمها وفشلها: المسألة والاستشراف للمال:

لقد تكاثرت الأدلة من كلام المعصوم ﷺ في تحريم المسألة، وهذا في عموم الخلق، فينبغي على الداعي إلى الله، وخواص أهل العلم أن ينزهوا دعوتهم منه، فإن هذا مما تهدم به الدعوة.

أخرج البخاري برقم: (١٤٧٤)، ومسلم: (١٠٤٠): عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

وأخرج البخاري برقم: (١٤٢٩)، ومسلم رقم: (١٠٣٣)، عن ابن عمر قال ﷺ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى: هِيَ السَّائِلَةُ**».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (١٠٣٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ**» أي: الإلحاح في المسألة.

وأخرج أبو داود في سننه برقم: (١٦٤٣)، عن ثوبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟**»، فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، (فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا)، وصححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٨٨).

وأخرج الترمذي برقم: (٦٨١)، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ**».

والكد: هو الخدش.

وصححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (٤٥٥).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده برقم: (٢١٣٢٥)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟**» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**تَعَفَّفْ**»، قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ، يَعْنِي الْقَبْرَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**اصْبِرْ**»، قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَعْنِي حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟**» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ**». قَالَ: فَإِنْ لَمْ أُتْرَكْ؟ قَالَ: «**فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ**» قَالَ: فَآخُذُ سِلَاحِي؟ قَالَ: «**إِذَنْ تُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ**»، وصححه الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند" برقم: (٢٦٩).

فالحذر الحذر من بيع الدعوة بدينار أو درهم والحذر من التماس الدنيا بعمل الآخرة، واتخاذ الدعوة سُلما للوصول إلى الدنيا، والحذر من إراقة ماء الوجه: (٦١).

وقال الإمام مالك لعبد الله بن وهب كما في "ترتيب المدارك وتقريب المسالك": أدَّ ما سمعت وحسبك ولا تحمل لأحدٍ على ظهرك، فإنه كان يقول: أخسر الناس من باع آخرته بدنياه، وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره. اهـ

وقال سليمان بن داود كما في "صفة الصفوة": (٣٢٦): سألت ابن المبارك من الناس؟ قال: العلماء، قلت: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه. قلت: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تحفة المجيب": (١٧٥): فخاب وخسر الذي يبيع الدعوة بالدينار الكويتي: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وخاب وخسر من باع الدعوة ببناء مسجد. اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "تحفة المجيب"، ص(٧٦-٧٧):

دعوة الإخوان المسلمين دعوة مادية دنيوية، ولجمع الأموال، ففي ذات مرة خرجنا دعوة، وخرج معنا عبد الله النهمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قتل في أفغانستان، وعبد الوهاب صهر حزام البهلولي، وقالوا: نحن نطلب تبرعات، فقلنا: هذه ليست من سمات أهل السنة، لكن إن أبيتم فبشرط ألا تستلموها أنتم، بل تقولون: يستلمها فلان من أهل القرية، فقد أصبح الناس الآن يسيئون الظن بالدعاة إلى الله، والله عز وجل يقول حاكيًا عن كثير من أنبيائه في سورة الشعراء: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٠٩].

ويقول الله سبحانه وتعالى حاكيًا عن بعض الصالحين: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، يقول هذا لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ،فالدعوة لا بد أن تكون لله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

وهؤلاء عندهم اليوم المبارك الذين يخرجون وقد امتلأت مخابئهم، انتفع الناس أم لم ينتفعوا، فهذه إساءة إلى العلم والدعوة، يقوم الخطيب منهم ويحثهم على التمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ويحذرهم من عقاب الله، ويذكرهم بالجنة والنار، ثم يقول في النهاية: هاتوا لنا أموالاً، والله عز

وجل يقول: ﴿وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد:٣٦-٣٧].

وقصة سعد بن الربيع، وعبد الرحمن بن عوف معروفة، عند أن قال سعد بن الربيع: إنّي أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلّقها، فإذا انقضت عدّتها فتزوّجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّني على السّوق. فقد كان سعد بن الربيع في غاية من الكرم، وعبد الرحمن بن عوف في غاية من العفة، فالحق أنّهم شوهوا الدعوة. اهـ

العامل الثاني عشر من عوامل هدمها وفشلها: نشر الشائعات دون تثبت:

التثبت في نقل الأخبار خلق أمر به ربنا، وحث عليه رسولنا ﷺ لما فيه من جبر الخاطر ومراعاة المشاعر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

أخرج الإمام مسلم في المقدمة برقم: (٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

قال الإمام السعدي كما في الرياض النضرة، ص(٢٣٤): من الغلط الفاحش الخطر: قبول قول الناس بعضهم في بعض ثم يبني عليه السامع حبا وبغضًا ومدحًا وذمًا، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية ولها بعض الحقيقة، فسميت بالكذب والزور، وخصوصًا من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع، وبهذا يعرف دين العبد ورزانته وعقله. اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "كتاب العلم"، ص(٣٩)، ومن أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلا بد أن تتثبت أولا، هل صحت عمن نقلت إليه أو لا؟ ثم إذا صحت فتثبت في الحكم ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيًّا على أصل تجهله أنت، فتحكم أنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ.

ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج: أن تتصل بمن نُسِبَ إليه الخبر وتقول : نُقل عنك كذا وكذا فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال : إذا علم السبب بطل العجب، فلا بد أولا من التثبت في الخبر والحكم، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل عنه وتسأله هل صح ذلك أم لا؟ ثم تناقشه: إما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه أو يكون الصواب معك فيرجع إليه.

وهناك فرق بين الثبات والتثبت فهما شيئان متشابهان لفظًا مختلفان معنى. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "المصارعة"، ص(٢٨): الواجب على المسلم إذا بلغه خبر من الأخبار فيما يختص الدعاة إلى الله، وفيما يختص بالمصلحين عليه أن يتحرى في هذا الأمر لاسيما ونحن في مجتمع كثر فيه الكذب، وكثرت فيه الدعايات الخبيثة. اهـ

نحن نعيش في أزمنة عظمت فيها الغربة واشتدت فيها الكربة على أهل الحق، فالواجب التثبت في نشر الأخبار، ومن نُقِل إليه عن أخيه السوء فإنه ينبغي عليه أن يتثبت وأن يتورع، فكم من الشائعات والوشايات التي تنشر عن أهل العلم والدعاة المصلحين ولا زمام لها ولا خطام، وإنما منشئوها الحظوظ النفسية

والحسد، فإن وقع الداعي إلى الله في هذا الداء العضال هدم دعوته، وهذا ملاحظ ملموس، فكم نعرف من أناس وقعوا في هذا المرض المهلك ولم يتثبتوا في نشر الأخبار عن الصلحاء، فجعل الله بأسهم بينهم؛ لأن المعاصي مادة الفشل وبوابة الهزيمة.

العامل الثالث عشر من عوامل هدمها وفشلها: التفـرد بالـرأي:

التشاور أمر الله به، قال تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران:١٥٩]. وقال سبحانه: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى:٣٨].

وأخرج الإمام أبو داود برقم: (٥١٢٨)، عن أبي هريرة، قال ﷺ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم (١٦٤١)، والإمام الوادعي في "الصحيح المسند"، برقم: (١٤٠٤).

أخرج الإمام البيهقي كما في "السنن الكبرى" برقم: (٢٠٣٠٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: (الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ: فَرَجُلٌ ، وَنِصْفُ رَجُلٍ ، وَلَا شَيْءَ، فَأَمَّا الرَّجُلُ التَّامُّ: فَالَّذِي لَهُ رَأْيٌ ، وَهُوَ يَسْتَشِيرُ ، وَأَمَّا نِصْفُ رَجُلٍ ، فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ ، وَهُوَ يَسْتَشِيرُ ، وَأَمَّا الَّذِي لَا شَيْءَ ، فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ ، وَلَا يَسْتَشِيرُ)، وسنده حسن.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "إعلام الموقعين": (١/ ٨٤): وَلِهَذَا كَانَ مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ وَإِصَابَتِهِ أَنْ يَكُونَ شُورَى بَيْنَ أَهْلِهِ، وَلَا يَنْفَرِدُ بِهِ وَاحِدٌ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَوْنِ أَمْرِهِمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَكَانَتْ النَّازِلَةُ إذَا نَزَلَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - لَيْسَ عِنْدَهُ فِيهَا نَصٌّ عَنْ اللَّهِ وَلَا عَنْ رَسُولِهِ جَمَعَ لَهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ثُمَّ جَعَلَهَا شُورَى بَيْنَهُمْ.

وقال العلامة العثيمين كما في "شرح رياض الصالحين": (٤/ ١٥٩): وكذلك خلفاؤه من بعده كانوا يستشيرون أهل الرأي والصلاح، ولا بد من هذين

الشرطين فيمن تستشيره، **أن يكون** ذا رأى وخبرة في الأمور وتأنٍ وتجربة وعدم تسرع، وأن يكون صالحا في دينه؛ لأن من ليس بصالح في دينه ليس بأمين حتى وإن كان ذكيًا وعاقلاً ومحنكا في الأمور إذا لم يكن صالحا في دينه فلا خير فيه وليس أهلا لأن يكون من أهل المشورة؛ لأنه إذا كان غير صالح في دينه، فإنه ربما يخون والعياذ بالله، ويشير بما فيه الضرر أو يشير بما لا خير فيه، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم. اهـ

العامل الرابع عشر من عوامل هدمها وفشلها: التلاعب في الهجر والتوسع فيه دون النظر في ضوابطه الشرعية:

من تأمل في كلام العلماء الراسخين في مسألة الهجر يجد أنهم وضعوا له ضوابط، وأنه باب مضيق، وليس موسعًا القصد منه رجوع المهجور وأنه وسيلة وليس بغاية ودائر على المصلحة وجودًا وعدمًا وهو دواء لا داء، ومصالح الهجر لا تنحصر في مصلحة المهجور، بل ينظر أيضًا إلى مصلحة الهاجر ومصلحة الناس ومصلحة الدين؛ لأن المهجور قد لا يكون في هجره مصلحة، بل قد يكون في عدم هجره مفسدة على الهاجر أو الناس مثلًا أو يكون في هجره مصلحة أعظم لغيره. اهـ

ودونك كلام علمائنا في مسألة الهجر.

قال العلامة ابن عثيمين كما في "فتاوى نور على الدرب": (٤/٢):

الواجب على من كان له قرناء فيهم بدعة أن ينصحهم ويبين لهم أن ما هم عليه بدعة لعل الله أن يهديهم على يديه حتى ينال أجرهم، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم**»، فإن أصروا على ما هم عليه من البدعة فإن كانت البدعة مكفرة وجب عليه هجرهم والبعد عنهم وإن لم تكن مكفرة، فلينظر هل في هجرهم مصلحة إن

كان في هجرهم مصلحة هجرهم، وإن لم يكن في هجرهم مصلحة، فلا يهجرهم وذلك لأن الهجر دواء إن كان يرجى نفعه فليفعل وإن لم يرجَ نفعه فلا يفعل؛ لأن الأصل أن هجر المؤمن محرم والعاصي من المؤمنين لا يرتفع عنه اسم الإيمان فيكون هجره في الأصل محرمًا، لكن إذا كان في هجره مصلحة لكونه يستقيم ويدع ما يوجب فسقه فإنه يهجر وإلا فلا هذا هو الضابط في الهجر الذي تجتمع فيه الأدلة، وخلاصته أن هجر الكافر المرتد واجب إذا لم يفد فيه النصيحة هجر الفاسق ليس بجائز إلا إذا كان في هجره مصلحة، ودليل ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يحل لأحدٍ أن يهجر أخاه المؤمن يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»، إلا إذا كان في هجره مصلحة فيهجر كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك. اهـ

وقالت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز: (٢٥/ ٣٢٦) رقم الفتوى: (٥٩٣): إذا لم يكن في الهجر ردع له ويخشى أن يزيد شره، فإنه لا يهجر، ولكن يستمر معه في النصيحة. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "أسئلة النساء العدنيات": وهنا أمر ينبغي التنبه له وهو مسألة الهجر: فقد توسع فيه أناس ربما يهجرون لأغراض لأنفسهم فلابد أن يُنظر لمصلحة المهجور. اهـ

وقال العلامة عبد المحسن العباد كما في "شرح سنن أبي داود": باب حكم الصلاة في ثياب تشف البشرة: إذا لم تترتب على الهجر مصلحة فوجوده مثل عدمه.

وقال شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري كما في "الكنز الثمين في فتاوى طلبة العلم والزائرين"، تحت شريط (الجواب المختار على أسئلة أهل ذمار) بتاريخ (٢٩) صفر: (١٤٠٣ هـ): الهجر عبارة عن علاج فإن رأى أن الهجر يؤثر فيه وينتفع فليهجره، وأما من كان تصلح معه النصيحة، والتوجيه فليسلك معه ذلك، لما أمر رسول الله ﷺ بهجره. اهـ

العامل الخامس عشر من عوامل هدمها وفشلها: الشدة في غير موضعها:

الشدة مآلها الانقطاع واستخدامها في جميع مجريات الحياة ومجالات الدعوة خطأ محض فالرفق مطلوب في بابه والشدة تستخدم في بابها على الضوابط الشرعية، أما أن يكون الداعي مستخدمًا للشدة في جميع مجريات الحياة على وتيرة واحدة فهذا خلاف الهدي الذي كان عليه الصلاة والسلام، وقد نهى عنها رسول الله ﷺ وحذر.

أخرج البخاري برقم: (٣٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**».

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

وأخرج البخاري برقم: (٧١٧٢)، ومسلم برقم: (١٧٣٣)، عن أبي بردة عن أبيه: أن النبي ﷺ بعثه ومعاذ إلى اليمن، فقال: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**».

وأخرج البخاري برقم: (٧١٥٩)، ومسلم برقم: (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٤٦٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ مُعَاذٌ، يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ؟ يَا فُلَانُ، قَالَ: لَا. وَاللهِ وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا**» قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ لِعَمْرٍو، إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ، حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: (اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقَالَ عَمْرٌو نَحْوَ هَذَا).

« **أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟**»، أي: منفر عن الدين، صاد عنه، ففيه الإنكار على من ارتكب ما ينهى عنه، وإن كان مكروهًا غير محرم.

وأخرج البخاري برقم: (٣٥٦٠) ومسلم برقم: (٢٣٢٧)، عن عائشة قالت: (**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا**).

قال العلامة ابن باز كما في "مجموع فتاواه": (١٦/ ١١٦٧- وما بعدها):

والخلاصة: أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضا أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة. ولذلك جاءت بالأمرين معا. واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق،

ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله.

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وأئمة الهدى بعدهم عرف صحة ما ذكرناه.

النصوص الآمرة باللين في مجاله:

ومما ورد في اللين قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، الآية.

وقوله تعالى في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، الآية.

النصوص الدالة على الشدة في مجالها:

ومما ورد في الشدة الآيات المتقدم ذكرها.

ومن الأحاديث: ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أن النبي ﷺ لما تلا قوله تعالى:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩]، قال: **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه**».

وفي لفظ آخر: «**على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم**».

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**».

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقتها عليهم**»، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

وقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر معلومة لدى أهل العلم، وقد هجرهم النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خمسين ليلة حتى تابوا فتاب الله عليهم وأنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧] إلى قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة:١١٨]، الآية.

فمما تقدم من الآيات والأحاديث يعلم الكاتب وغيره من القراء أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت باللين في محله والغلظة والشدة في مجالها، وأن المشروع للداعية إلى الله أن يتصف باللين والرفق والحلم والصبر لأن ذلك أكمل في نفع دعوته والتأثر بها كما أمره الله بذلك وأرشد إليه رسوله ﷺ، وأن يكون على علم وبصيرة فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه لقول الله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].

ولا ينبغي للداعية أن يلجأ إلى الشدة والغلظة إلا عند الحاجة والضرورة وعدم حصول المقصود بالطريقة الأولى، وبذلك يكون الداعي إلى الله سبحانه قد أعطى المقامين حقهما وترسم هدي الشريعة في الجانبين. اهـ

وقال كما في "مجموع الفتاوى" أيضًا: (٨/٣٧٦): ولا سيما في هذا العصر، هذا العصر عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة.

الناس أكثرهم في جهل، في غفلة إيثار للدنيا، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس وحتى يعلموا. ونسأل الله للجميع الهداية. اهـ

العامل السادس عشر من عوامل هدمها وفشلها: المظالم:

مما ينبغي أن يحذره الداعي على نفسه المظالم، فإنها هلاك المجتمعات وهدم الدعوات، ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن أمره باتقاء دعوة المظلوم، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:١١١]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

-وقد أمر النبي ﷺ بالتحلل من المظالم.

أخرج البخاري برقم: (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ..**»، وحذّر منه فقد أخرج الإمام الترمذي برقم: (٢٤١٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**»؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ**

هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وأخرج الإمام مسلم برقم: (١٣٤٣): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ.. »**.

وأخرج أبو داود برقم: (٤٩٠٢): عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»، وصححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند"، برقم: (١١٦٦).

وأخرج البخاري في "صحيحه" برقم: (٧٥٥): عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «**فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ**»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ

بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ. اهـ

فأمر المظالم لا يستهان بها، ورُبَّ دعوة مظلوم سرت في جوف ليل يهلك الله بها من شاء من العباد.

قال الله تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:١٠]، فاستجاب الله دعاءه فقال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١-١٢]، الآيات.

قال العلامة الوادعي كما في كتاب "من فقه الإمام الوادعي" (١/ ٦٣): علينا أن نهتم بمعالجة أمراضنا نحن أهل السنة، رُبّ دعوة مظلوم تحطم دعوة وتحطم أصحابها.

فالحذر الحذر أيها الداعي إلى الله من المظالم، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب سواء كانت المظالم في باب الخصومات والدعاوى أو غيرها.. إلخ.

العامل السابع عشر من عوامل هدمها وفشلها: التربية على التعلق بالأشخاص لا المنهج:

تربية الطلاب وتعلقهم بشيخهم هذا السير من أعظم وسائل ضرب الدعوة وهدمها.

فالناس يُربطون بالمنهج لا بالذوات والأشخاص، وتأمل في قوله تعالى بعد أن ذكر جملة من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

فالشاهد: أن الله علق الخلق وربطهم بالسير الذي سار عليه الأنبياء، ولم يعلقهم ويربطهم بذواتهم وأشخاصهم.

قال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره عند سورة الأنعام: آية: (٩٠)، يقول تعالى: يقول تعالى ذكره:(**أولئك**)، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك (**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**)، يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم (**اقْتَدِهِ**)، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى. اهـ

أخرج الإمام البخاري برقم (١٢٤١): عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «**بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا**».

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: «**اجْلِسْ**»، فَأَبَى، فَقَالَ: «**اجْلِسْ**»، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كما في لقاء الباب المفتوح، شريط (٤٧):

أنا أنصحكم من الآن فصاعدًا: ألاّ تجعلوا الحق مربوطًا بالرجال، الرجال قد يضلون ، حتى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: من كان مستنًا فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

الرجال إذا جعلتم الحق مربوطاً بهم يمكن الإنسان أن يغتر بنفسه والعياذ بالله من ذلك، ويسلك طرقاً غير صحيحة.. اهـ

وقال العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الإمام الألمعي، (٢٤٩):

الدعاة السلفيون يربطون الناس بخالقهم ولا يربطونهم بشخصياتهم.

وقال العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "شرح الحموية": ص(٢٩):

فعلينا أن نربط الناس بالخالق لا بالأشخاص. اهـ

قلت: وهذه التربية مآلها التقليد، وقد حذر منها السلف وأئمة الدين، كما في "**إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار**" للفُلاَّني، ص(٦٢):

سُئِلَ أَبُو حنيفَة: إِذا قلت قولا وَكتاب الله يُخَالِفهُ؟ قَالَ: اتْرُكُوا قولي لكتاب الله، فَقيل: إِذا كَانَ خبر الرَّسُول ﷺ يُخَالِفهُ؟ قَالَ: اتْرُكُوا قولي لخَبر رَسُول الله ﷺ. اهـ

وقال معن بن عيسى كما في "مواهب الجليل شرح مختصر خليل": (٤٠): سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُخْطِئُ وَأُصِيبُ فَانْظُرُوا فِي رَأْيِي فَكُلُّ مَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَخُذُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ السُّنَّةَ مِنْ ذَلِكَ فَاتْرُكُوهُ. اهـ

وقال الشافعي كما في "المجموع شرح المهذب": (٦٣): إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله، ودعوا قولي.

وقال أبو داود كما في "إعلام الموقعين": (٤/ ١٨٧): قال لي أحمد: لا تقلدني ولا مالكًا ولا الشافعي، ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا.

العامل الثامن عشر من عوامل هدمها وفشلها: عدم مراعاة المصالح والمفاسد:

ومما ينبغي على الداعي إلى الله أن يحرص عليه أن يكون مراعيًا للمصالح والمفاسد، فإن لم تراع المصالح والمفاسد باءت بالفشل، قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام:١٠٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لهذه الآية: يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله كما في "إعلام الموقعين": (٣/ ١١٠): وَهَذَا كَالتَّنْبِيهِ بَلْ كَالتَّصْرِيحِ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ الْجَائِزِ لِئَلَّا يَكُونَ سَبَبًا فِي فِعْلِ مَا لَا يَجُوزُ. اهـ

من الأدلة التي جاءت بها السنة في مراعاة المصالح والمفاسد:

ما أخرجه البخاري (١٥٨٦)، ومسلم برقم (١٣٣٣): عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال لها: «**يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا**». اهـ

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديث برقم: (١٣٣٣): فيه دليل لتقديم أهم المصالح عند تعذر جميعها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند حديث برقم: (١٥٨٦): وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة وأن المفسدة إذا أمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة. اهـ

قلت: ومن أدلة مراعاة المصالح والمفاسد: تأخير الجهاد في العهد المكي وترك هدمه ﷺ للأصنام بمكة.

وترك قتله بعض المنافقين حتى لا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه.

وقال شيخ الإسلام كما في "الفتاوى الكبرى" (٢٣/ ١١٥-١١٦): (يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتْبَعَ إمَامَهُ فِيمَا يَسُوغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ، فَإِذَا قَنَتَ قَنَتَ مَعَهُ وَإِنْ تَرَكَ الْقُنُوتَ لَمْ يَقْنُتْ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**» وَقَالَ: «**لَا تَخْتَلِفُوا عَلَى أَئِمَّتِكُمْ**»، وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِمَامَ لَوْ قَرَأَ فِي الْأَخِيرَتَيْنِ بِسُورَةِ مَعَ الْفَاتِحَةِ وَطَوَّلَهُمَا عَلَى الْأُولَيَيْنِ: لَوَجَبَتْ مُتَابَعَتُهُ فِي ذَلِكَ. فَأَمَّا مُسَابَقَةُ الْإِمَامِ فَإِنَّهَا لَا تَجُوزُ. فَإِذَا قَنَتَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يُسَابِقَهُ: فَلَا بُدَّ مِنْ مُتَابَعَتِهِ وَلِهَذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى عُثْمَانَ التَّرْبِيعَ بِمِنَى ثُمَّ إنَّهُ صَلَّى خَلْفَهُ أَرْبَعًا.

فَقِيلَ لَهُ: فِي ذَلِكَ فَقَالَ: الْخِلَافُ شَرٌّ. وَكَذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ لَمَّا سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ وَقْتِ الرَّمْيِ فَأَخْبَرَهُ ثُمَّ قَالَ: افْعَلْ كَمَا يَفْعَلُ إمَامُك، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مدارج السالكين": (١/ ٣٩٢): فَإِنَّ الشَّرَائِعَ مَبْنَاهَا عَلَى الْمَصَالِحِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلَ الْمَفَاسِدِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَتَقْلِيلِهَا. اهـ

العامل التاسع عشر: من عوامل هدمها وفشلها: الدخول على الأمراء وأهل الدنيا:

وهذا مما يزري بالداعي إلى الله، ويشوِّه دعوته، ويذهب هيبته.

أخرج الإمام أحمد في "مسنده" برقم: (٨٨٣٦)، والطبراني في الأوسط برقم: (٥٥٦)، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ**

غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ»، وصححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم (١٢٧٢).

وأخرج الإمام الترمذي برقم: (٦١٤) عن كعب بن عجرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»**.

وأخرج ابن مندة كما في "المعرفة": (٢/ ٦٢-٢): عن أبي الحارث السلمي، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ صَعْبًا هُبُوطًا**»، الحديث صححه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٢٥٣).

قال الإمام الصنعاني كما في "التنوير شرح الجامع الصغير" تحت حديث برقم: (٢٨٨٣): (**إياكم وأبواب السلطان**) اجتنبوها ولا تقربوها، (**فإنه قد أصبح صعبًا**) شديدًا. (**هبوطًا**) بفتح الهاء فموحدة، أي: منزلاً مهبطًا لدرجة من لازمه عند الله مذلة له في الدنيا والآخرة، قال الشارح: هبوطًا بالهاء هو ما ثبت في نسخ الجامع، والذي وقفت عليه في البيهقي والطبراني: (**حبوطًا**) بحاء مهملة، أي: يحبط العمل والبركة عند الله تعالى، قال الديلمي وروي: (**خبوطًا**) بخاء معجمة، والخبط أصله: الضرب والخبوط البعير الذي يخبط بيديه على الأرض، والحديث تحذير عن القرب من السلطان وقد تواتر معناه. عند الطبراني عن رجل من سليم.

يعني به أبا الأعور السلمي، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. اهـ

والدخول على السلاطين لغير مصلحة شرعية راجحة عين الفتنة، والسلامة في البعد عنهم.

ومن تأمل فيما كان عليه السلف، فإنهم كانوا لا يرون الدخول على الأمراء والسلاطين خشية الافتتان بهم، قال سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في السير للذهبي: (٦٥/): (ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء، والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفسي، فوجدت عليها الدرك). اهـ

الدرك: التبعة.

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مقدمة الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم، ص(٨٨): إياك والأمراء والدنو منهم.

وقال عبد الرحمن بن يزيد كما في "تاريخ الإسلام": (٢/ ٦٨٣): قلنا لعلقمة: لو صليت في هذا المسجد ونجلس معك فتسأل؟ قال: أكره أن يقال: هذا علقمة، قالوا: لو دخلت على الأمراء فعرفوا لك شرفك؟ قال: أخاف أن ينتقصوا مني أكثر مما أنتقص منهم. اهـ

قال أبو قلابة كما في "جامع بيان العلم وفضله"، ص(٢٥٧): قال أبو قلابة: (يا أيوب: احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية). اهـ

وقال يونس بن عبيد كما في "السير": (٦/ ٢٩٣): لا تجالس صاحب بدعة، ولا صاحب سلطان ولا تخلون بامرأة. اهـ

وقال ميمون بن مهران كما في "تاريخ الإسلام": (٣/ ٣٢٧): ثلاث لا تبلون نفسك بهن: لا تدخل على السلطان وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تصغين

سمعك لذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله. اهـ

وفي ترجمة بنان بن محمد أبو الحسن المعروف بالحمَّال كما في "تاريخ بغداد": (٧/ ٥٩١): وكان لا يقبل من السلطان شيئًا. اهـ

العامل العشرون من عوامل هدمها وفشلها: النشر عبر وسائل التواصل دون التشاور مع أهل العلم:

لتعلم أيها الداعي إلى الله أننا نعيش في زمان انتشرت فيه وسائل التواصل على أوسع نطاق فقربت بعيدًا وذللت صعيبًا، وهي من النعم التي تحتاج إلى شكر، ولكن من الناس من لم يسخرها فيما يعود عليه بالنفع.

فهذه الوسائل أصبحت عند البعض وسائل تفاصل لا تواصل، وحلقة فصل لا وصل، ففرقت بين الأحبة، ومن وسائل هدم الدعوة وتشويهها وضربها.

النشر عبر هذه الوسائل:

من أنصاف المتعلمين دون التريث والنظر في المصالح والمفاسد، ودون الرجوع إلى العلماء الراسخين الذي ينظرون في عواقب الأمور فاتسع الخرق على الرافع فأصبحت الديار بلاقع، فرب منشور ينشر في الآفاق يكون سببًا في ضرب الدعوات إلى الله نشكو.

فينبغي على الداعي إلى الله، إذا كتب منشورًا فيما يتعلق بأمر الدعوة أن يتشاور مع أهل العلم الراسخين الذين يدركون ما تؤول إليه الأمور، قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٤٣].

العامل الواحد والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: المعاصي:

المعاصي باب الهزيمة ومادة الفشل وهلكة للأمم والمجتمعات، من لابسها ذهبت بركته، وفشلت دعوته، وأبغضه الخلق.

فينبغي على الداعي إلى الله أن ينزّه دعوته، وأن يصون العلم الذي يحمله بالبعد عن المعاصي والآثام، فإنها تورث الذلة والمسكنة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

وأخرج الإمام أحمد برقم: (٥٦٦٧)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**».

والحديث صححه العلامة الألباني في "إرواء الغليل" برقم: (١٢٦٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مدارج السالكين": (١/ ٤٢٣): وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ آثَارًا مَحْبُوبَةً لَذِيذَةً طَيِّبَةً، لَذَّتُهَا فَوْقَ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، لَا نِسْبَةَ لَهَا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي آلَامًا وَآثَارًا مَكْرُوهَةً، وَحَزَازَاتٍ تُرْبِي عَلَى لَذَّةِ تَنَاوُلِهَا بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ وَوَهَنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. اهـ

قال الإمام الوادعي كما في "تحفة المجيب"، ص(٣٩٧): وأخوف ما نخاف على أنفسنا وعلى دعوتنا من ذنوبنا، ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

العامل الثاني والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: الدخول في السياسة:

لا خلاف بين أهل العلم أن السياسة من الدين، وأن فيها تحقيقًا للمصالح الدنيوية والدينية إلا أن علماءنا لما رأوا أنه دخَلها الغِش والخداع ومجانبة الصواب وتقليب الحقائق، أجهزوا كلهم على التحذير منها نصحًا للأمة، وبراءة للذمة، ومن ذلك ما يُسمى بالعسكرة الآن لطلاب العلم، ووالله إنها ضياع للعمر وإهدار للجهود وسلب للدين، ومسلك شيطاني خطير ومقاليد الإنسان فيها بيد غيره، وأنها توهين لجانب الولاء والبراء، فالسلامة في البعد عنها.

ولهذا قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "سلسلة الهدى والنور" شريط رقم: (٢١٠): من السياسة الآن ترك السياسة.

وقال العلامة الألباني كما في "سلسلة الهدى والنور" شريط: (٢٧٠):

لا ننصح إخواننا السلفيين في أرض الله الواسعة في كل بلد إسلامي أن يعملوا عملًا سياسيًا، ولو كان هذا العمل نابعًا من أنفسهم، فضلًا عن أن يكونوا فيه أو في هذا العمل تبعًا لغيرهم، ما ننصح بهذا أبدًا؛ ذلك لأن العمل السياسي يحتاج في الحقيقة إلى مقدمات كثيرة، واتخاذ أسباب جمة ليتمكن هؤلاء الذين تأسسوا وتربوا على هذا المنهج أن يقوموا بالسياسة الشرعية، وفيما نعلم كل الأجواء في البلاد الإسلامية اليوم لا يوجد فيها جماعة ولنقلها لفظة قرآنية (أمة) تكتلت وتجمعت على هذا الإسلامي الصحيح ولم يبقَ لديهم من القيام بالواجبات الشرعية إلا العمل السياسي.

لا نعلم أن طائفة أو جماعة أو أمة توجد اليوم على وجه الأرض أنه لا ينقصها إلا العمل السياسي، العمل السياسي في اعتقادي إنما يأتي بعد زمن واستعدادات جمة تقوم بها الطائفة المنصورة التي ذكرها في الحديث المشهور المتواتر عن الرسول ﷺ.

ثم قال: لذلك فالاشتغال بالعمل السياسي قبل أن تصل الأمة أو الجماعة إلى مرحلة هذا العمل السياسي ستكون عاقبة أمره أن تنهار الدعوة، وأن ترجع القهقرى، وربَّ أناس لا يقتنعون بهذه النظرية من الناحية العلمية، وحسبهم أن يلقوا نظرة سريعة في بعض البلاد الإسلامية التي وقعت فيها بعض الأعمال السياسية، فكان عاقبة أمرهم لم يكن ذلك رشدًا، ولم يكن توفيقًا، بل كان عاقبة أمرهم القهقرى، والرجوع إلى الوراء في الدعوة، فقد كانوا ماضين في دعوتهم كما يأمر الشرع، وإذا بهم بسبب النهوض المفاجئ بعمل سياسي، لتكون عاقبة أمرهم وعاقبة نهضتهم أن رجعوا القهقرى. اهـ

وقال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في كتاب "إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب إلى السلفية"، ص(١٥٨): فالسياسة الشرعية من الدين والذين يحاولون فصل الدين عن السياسة معناه: هدم قدر ثلث الإسلام أو أكثر، فنحن لا نحارب السياسة لذاتها، نحارب السياسة بمعنى الكذب والخداع والخيانة، هذه نحاربها، أما فصل الدين عن السياسة فهذا أمر نحن نحاربه ونحذِّر منه، والله المستعان.

قلت: مما سبق من كلام الإمامين الجليلين الألباني والوادعي: التحذير والبعد عن السياسات وما يوصل إليها فينبغي للدعاة إلى الله ألا يخدعوا وينخرطوا في العمل السياسي، فإن السياسة نجسة، فيجب على العاقل أن يطهر نفسه منها، وأن يشتغل الداعي إلى الله بما ينفع الإسلام والمسلمين من النفع المتعدّي.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولشيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري القدح المعلى والجهد الجبار في تحذير طلبة العلم من العسكرة والدخول فيها؛ لما فيها من الضياع والهلكة، وتقديم للتنازلات، وإهدار للجهود، وسلب للاستقامة وعرضة للانتكاسة، وضياع للأوقات.

قال شيخنا العلامة: يحيى بن علي الحجوري كما في "نصيحة للزائرين من أهل أبين" بتاريخ (٨/٨/ ١٤٤٥هـ): والعسكرة ليست أقل ضررًا على الدعوة من الجمعيات.

العامل الثالث والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: تصيير الخلافات الشخصية إلى خلافات منهجية:

تصيير الخلاف الشخصي إلى خلاف منهجي مرض في القلب، وضعف في الورع، وانتصار للهوى، وفجور في الخصومة.

وملازمة العدل مطلوب في الرضا والغضب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، الآية.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٢٣].

فاتق الله أيها الداعي إلى الله وترفّع عن الحظوظ النفسية ومقاضاة الأغراض الشخصية على حساب الدين، وقل خيرًا تغنم أو اسكت عن شر تسلم، والخفض والرفع بيد الله سبحانه. اهـ

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

فما أحدٌ يسقط أحدًا إنما الإنسان تسقطه ذنوبه.

العامل الرابع والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: التميّع:

وعدم التميز عن أهل البدع في إقامة الدعوة.

لقد حذرنا ربنا سبحانه في كتابه الكريم من مجالسة المبطلين والمبتدعة، والركون إليهم لما في ذلك من لحوق الأضرار، وتوالي الأخطار، قال جل ثناؤه: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، الآية.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده: (٢٢١٨٣)، قال معمر: سَمِعْتُ أَبَا غَالِبٍ يَقُولُ: لَمَّا أُتِيَ بِرُءُوسِ الْأَزَارِقَةِ فَنُصِبَتْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، جَاءَ أَبُو أُمَامَةَ فَلَمَّا رَآهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ: «**كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، هَؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ**».

قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا شَأْنُكَ دَمَعَتْ عَيْنَاكَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. قَالَ: قُلْنَا: أَبَرَأْيِكَ قُلْتَ: هَؤُلَاءِ كِلَابُ النَّارِ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَجَرِيءٌ بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا اثْنَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ قَالَ: فَعَدَّ مِرَارًا.

وصححه الإمام الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (٤٨٢).

وأخرج أبو داود برقم: (٣٧٦٤)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**..».

وصححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (١٠١٩).

وقد عَظُم خطب السلف في التحذير من المبتدعة ومن مجالستهم، قال ابن عباس كما في "الإبانة" (٢/ ٤٣٨):

لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب. اهـ

قال أبو قلابة رحمه الله كما في "الحلية" لأبي نعيم: (١/ ٢٧١٦): (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون).

وقال الفضيل بن عياض كما في شرح السنة: (١٢٦- ١٢٧): (من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)، (ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد).

وقال أبو قلابة كما في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي" برقم: (٢٤٦): يا أيوب احفظ عني أربعًا: لا تقولن في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد فأمسِك ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك.

وقال مجاهد كما في "الإبانة": (٢/ ٤٤١): لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن لهم عرة كعرة الجرب.

وقال الإمام مالك كما في "الجامع لابن أبي زيد القيرواني": (١٢٥): لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم، إلا أن تغلظ عليهم ولا يعاد مريضهم ولا تحدث عنهم الأحاديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل كما في "السير" للذهبي: (١١/ ٢٣١):

إياكم أن تكتبوا يعني: عن أحد من أصحاب الأهواء قليلا أو كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن. اهـ

وقد قسم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "بدائع الفوائد": (١/ ٨٢١-٨٢٢) المخالطة إلى أربعة أقسام، منهم: (القسم الرابع: من مخالطته الهُلْكُ كُلُّه، ومخالطته بمنزلة أكل السُّم، فإن اتَّفَقَ لآكله ترياقٌ، وإلا فأحسنَ اللهُ فيه العزاءَ، وما أكثرَ هذا الضَّرْبَ في الناس -لا كثَّرهم اللهُ- وهم أهلُ البدع والضلالة، والصَّادُّون عن سُنَّة رسول الله ﷺ، الدّاعون إلى خلافها، الذين يَصُدُّون عن سبيل الله

ويبغونها عوجًا، فيجعلون البدعةَ سُنَّةً، والسُّنَّةَ بِدْعَةً، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، إن جرَّدت التوحيدَ بينهم قالوا: تنقَّصْتَ جنَابَ الأولياء والصالحين، وإن جَرَّدْتَ المتابعةَ لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرتَ الأئمةَ المتبوعينَ.

وإن وصفت الله بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفه به رسولُهْ من غير غُلُوٍّ ولا تقصيرٍ قالوا: أنت من المُشَبِّهين، وإن أَمَرتَ بما أَمَرَ اللهُ به ورسولُه من المعروف ونهيتَ عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر، قالوا: أنت من المُفَتِّنِينَ. وإن اتبعتَ السُّنَّة وتركتَ ما خالفها قالوا: أنتَ من أهل البدَع المُضِلِّين. وإن انقطعتَ إلى الله تعالى وخَلَّيْتَ بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنتَ من المُلَبِّسِين، وإن تركتَ ما أنتَ عليه، واتبعتَ أهواءَهم فأنت عند الله تعالى من الخاسرينَ، وعندهم من المنافقين.

فالحزمُ كلُّ الحزمِ التماسُ مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغلَ بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تبالِ بذَمِّهم ولا بُغضهم، فإنه عينُ كَمَالِكَ، كما قال المتنبي:

وإذا أتتكَ مَذَمَّتِي مِنْ ناقصٍ ... فهي الشَّهَادَةُ لي بأنيَ كاملُ

وقال آخر:

وقد زادني حُبًّا لنفسيَ أنَّني ... بغيضٌ إلى كلِّ امْرِئٍ غيرِ طائلِ

فمن كان بوَّابَ قلبه وحارسَه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصلُ بلاء العالم، وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة، واستعملَ ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرِّزه من الشيطان؛ فقد أخذ بنصيبه من التوفيق، وسَدَّ على نفسه أبوابَ جهنَّم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانعمر ظاهره وباطنه، ويوشكُ أن يحمَدَ عند الممات عاقبةَ هذا الدواء، فعند الممات يحمَدُ القومُ التُّقى و (في الصباح يحْمَدُ القومُ السُّرَى)، والله الموفق لا ربَّ غيرُهُ، ولا إلهَ سواه. اهـ

قال الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كما في "غارة الأشرطة": (٢/ ١٨٨)**: لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تميز، وتميز أهل السنة من أهل البدعة.

وبناءً على ما سبق، فإن التميز عن المبتدعة نصحٌ للمجتمع، وأداء للأمانة وظهور للدعوة وإعمال لعقيدة الولاء والبراء وتقوية للحق، كما أن التميّع والجلوس مع المبتدعة ومخالطتهم غِش للمجتمع، ومن أعظم عوامل هدم الدعوة وفشلها.

العامل الخامس والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: الغلو:

والغلو هو مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء في مدحه أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٨٩).

وضابطه: تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان كما ذكر ذلك سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد، ص(٢٥٦).

فالغلو هنا: مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، كما ذكر ذلك السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن الكريم عند الآية: (١٧١) من سورة النساء.

وقال ربنا سبحانه ناهيًا عباده عن الغلو: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ [المائدة:٧٧].

وأخرج الإمام مسلم برقم: (٢٦٧٠) عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون** –قالها ثلاثًا–».

قال النووي عند هذا الحديث: بالرقم المشار إليه: أي هلك المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. اهـ

وأخرج ابن ماجه برقم: (٣٠٢٩) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: «**وإياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**». اهـ وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: (٢١٤٤).

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "فيض القدير": (٣/ ١٢٥): فقوله: «**إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»، أي: التشديد فيه ومجاوزة

الحد والبحث عن غوامض الأشياء، والكشف عن علله وغوامض متعبداتها: «**فإنما هلك من كان قبلكم من الأمم بالغلو في الدين**».

والسعيد من اتعظ بغيره، وهذا قاله غداة العقبة وأمرهم بمثل حصى الخذف.

ومرادنا بالغو هنا: الميل عن الطريق المستقيم، وأن يزيد في الدين ما ليس منه، بحيث يتجاوز الحد المشروع.

أو يتشدد في العبادة أو يتعسف في أدائها حتى يخرج بها عن الصفة المشروعة، فكل من تعبد لله بغير ما شرع نوعًا أو عددًا أو صفة فهو من الغلاة.

ومن هنا: أصبحت البدع في الدين نوعًا من الغلو والتطرف.

وعلى هذا: فجدير بالداعي إلى الله أن يكون وسطيًا في دعوته، فإن الغلو مآله الانقطاع، ومما يسبِّب النفرة وهو من عوامل هدم الدعوة وفشلها.

العامل السادس والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: التعصب لآراء بعض العلماء دون غيرهم [1]:

ينبغي للداعي إلى الله أن يحذر على نفسه من هذا الداء وهو التعصب لآراء بعض العلماء دون غيرهم، مما الأمر فيه واسع والخلاف فيه لا يضر.

ومن أمثلة ذلك:

خلاف بعض الدعاة إلى الله على بعض المسائل الفقهية كخلافهم على عدد ركعات صلاة الليل والصلاة بها وعبارة (الصلاة خير من النوم)، هل تقال في الأذان الأول أو الأذان الثاني.

والأمر في هذا واسع، ومن أخذ بقول هذا أو قول هذا، فقد أخذ بقول سائغ، وكل له سلفه في المسألة.

---

[1] هذا السبب زدته اجتهادًا مني مؤخرًا وهو مما لم يطلع عليه الشيخ يحيى والشيخ سليم.

ولا يصل الأمر إلى التبديع والتشنيع والهجر؛ لأن الخلاف في هذه المسائل كلها منشؤه اختلاف الأفهام، والأمر في هذا هيِّن والخطب يسير.

قال ابن القيم رحمه الله كما في "زاد المعاد": (٢/ ٤٣١): التعصب للمذاهب، والطرائق، والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه منتسبًا إليه، فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية. اهـ

وقال المعلمي رحمه الله في "التنكيل": (١/ ٣٠٩): ومن عجيب شأن التعصب أنه يبلغ بصاحبه من العمى أن يسعى جاهداً في الإضرار بمن يتعصب له متوهماً أنه أنما يسعى في نفعه. اهـ

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

إنّ مما تجدر العناية به: أن الداعي إلى الله ينبغي أن يكون قدوة لغيره، فيترفع عن الدنيا والتنافس فيها، وفضول المباحات حتى يأسر قلوب الناس، وأن يجعل الدنيا تحت قدمه وألا يكون متناقضًا بأن تخالف أقواله أفعاله.

فاحرص أيها الداعي أن تكون قدوة في قولك وعملك ولا تقابل السيئة بالسيئة، بل قابل الإساءة بالإحسان، واصبر على أذى الناس، واعفُ عمن ظلمك، فهذه دعوة الله سبحانه، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله، والدعوة سائرة وهذا وعد الله، ولن يخلف الله وعده.

وما جمعته في هذا الجزء إشارات ومذكرة ووصايا، لعله ينتفع بها من شاء من عباده من الدعاة المصلحين، فما كان من صواب فبتوفيق الله وإعانته وحده، ولا حول ولا قوة لي إلا به، وما كان من خطأ فمني والشيطان، والله الموعد.

كتبه/

أبو النبّراء هاني بن محمد بن حمود بن أحمد الشاحذي

(١٠) جمادى الآخرة (١٤٤٦) من الهجرة

على صاحبها الصلاة والسلام

الفهرس

تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري ٣
تقديم فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري (مخطوط) ٤
تقديم فضيلة الشيخ العلامة سليم بن عيد الهلالي ٥
تقديم فضيلة الشيخ العلامة سليم بن عيد الهلالي (مخطوط) ٦
شكر وتقدير ٧
المقدمة ٨
الفصل الأول: الدعوة إلى الله وفضلها ١٢
الفصل الثاني: أسباب قوتها ونجاحها ٢٠
السبب الأول: الإخلاص: ٢٠
السبب الثاني: أن يكون الداعي عالمًا بما يدعو إليه. ٢٣
السبب الثالث: البدء بالتوحيد ٢٦
السبب الرابع: العفة: ٢٩
السبب الخامس: حسن الخلق. ٣٤
السبب السادس: التطاوع: ٣٦
السبب السابع: الرفق. ٣٩
السبب الثامن: الزهد في الدنيا: ٤٢
السبب التاسع: الحكمة: ٤٨
السبب العاشر: العمل بالعلم: ٥٢
السبب الحادي عشر: جبر خواطر الناس عند حلول المصائب عليهم بضوابطه الشرعية: ٥٣
السبب الثاني عشر: التزاور وتفقد الأخ لأخيه: ٥٥

السبب الثالث عشر: التشاور مع أهل العلم من العلماء والدعاة إلى الله: ٥٨
السبب الرابع عشر: التألف بالمال. ٦٠
السبب الخامس عشر: الصفاء والنقاء: ٦١
السبب السادس عشر: الصبر على الأذى. ٦٣
السبب السابع عشر: التدرج في إقامة الدين والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ: ٦٨
السبب الثامن عشر: الصدق مع الله: ٧١
السبب التاسع عشر: إكرام الضيف: ٧٣
السبب العشرون: تحضير الخطب والمحاضرات واختيار الخطبة المناسبة في الوقت المناسب: ٧٥
السبب الحادي والعشرون: الأخوَّة: ٨٠
السبب الثاني والعشرون: معرفة الفضل لأهله: ٨٢
السبب الثالث والعشرون: طريقة السلف: ٨٥
السبب الرابع والعشرون: البعد عن مواطن الريبة والمسارعة في دفع ما يُشاع وبيانه: ٨٧
السبب الخامس والعشرون: الإقبال على العبادة: ٩٠
الفصل الثالث: عوامل هدمها وفشلها ٩٣
العامل الأول من عوامل هدمها وفشلها: التعالم: ٩٣
العامل الثاني: من عوامل هدمها وفشلها: الخلاف ٩٦
العامل الثالث من عوامل هدمها وفشلها: حب الزعامة والرئاسة والظهور: ٩٩
العامل الرابع من عوامل هدمها وفشلها: التصدر قبل التأهل: ١٠٠
العامل الخامس من عوامل هدمها وفشلها: الانشغال بالدنيا والحرص عليها. ١٠٤
العامل السادس من عوامل هدمها وفشلها: عدم التدرج في إقامة الدين وإنكار المنكر: ١٠٦
العامل السابع من عوامل هدمها وفشلها: التعجل في الخروج الدعوي: ١٠٨
العامل الثامن من عوامل هدمها وفشلها: الحسد وما ينتج عنه من الانتقام للنفس والنصرة لها: ١١٠
العامل التاسع من عوامل هدمها وفشلها: مخالفة بعض الدعاة أقوالهم لأفعالهم: ١١٢
العامل العاشر من عوامل هدمها وفشلها: النميمة: ١١٣

العامل الحادي عشر من عوامل هدمها وفشلها: المسألة والاستشراف للمال: ١١٥
العامل الثاني عشر من عوامل هدمها وفشلها: نشر الشائعات دون تثبت: ١١٨
العامل الثالث عشر من عوامل هدمها وفشلها: التفرد بالرأي: ١٢٠
العامل الرابع عشر من عوامل هدمها وفشلها: التلاعب في الهجر والتوسع فيه دون النظر في ضوابطه الشرعية: ١٢١
العامل الخامس عشر من عوامل هدمها وفشلها: الشدة في غير موضعها:..... ١٢٣
العامل السادس عشر من عوامل هدمها وفشلها: المظالم: ١٢٧
العامل السابع عشر من عوامل هدمها وفشلها: التربية على التعلق بالأشخاص لا المنهج:.... ١٢٩
العامل الثامن عشر من عوامل هدمها وفشلها: عدم مراعاة المصالح والمفاسد:..... ١٣٢
العامل التاسع عشر: من عوامل هدمها وفشلها: الدخول على الأمراء وأهل الدنيا:.... ١٣٣
العامل العشرون من عوامل هدمها وفشلها: النشر عبر وسائل التواصل دون التشاور مع أهل العلم: ١٣٦
العامل الواحد والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: المعاصي: ١٣٦
العامل الثاني والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: الدخول في السياسة: ١٣٨
العامل الثالث والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: تصيير الخلافات الشخصية إلى خلافات منهجية: ١٤٠
العامل الرابع والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: التميّع: ١٤٠
العامل الخامس والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: الغلو: ١٤٤
العامل السادس والعشرون من عوامل هدمها وفشلها: التعصب لآراء بعض العلماء دون غيرهم: ١٤٥
الخاتمة ١٤٧
الفهرس ١٤٨